الفصل الأول

الإعلان وكلمة الله

يجد الإنسان العصري نفسه منجرفاً، في محيط من الحيرة وانعدام المعنى، يبحث ويتقصَّى – دون جدوى – في خط الأفق الغامض البعيد، فكل شيء نسبي لكل شيء آخر. وهكذا ، لم يعجز فقط عن الوصول إلى الحق، بل إنه كفَّ عن البحث عنه أيضا. فالحق – في نهاية الأمر – يتعلق بالله وينتسب إليه؛ فالله هو الحق المطلق، وإن كان الله غير حي أو أصم أو أخرس، فقد فقد الحق مرساته. فلا عجب إذن إن كان الجنس البشري ينساق نحو العدم.

وفي خضم هذا البحر من الحيرة والالتباس، يظل الكتاب المقدس يجلجل في تكوين1: 1 "في البدء خلق الله...." وفي يوحنا1 : 1 "في البدء كان الكلمة" فيظلُّ الله هو الكائن الأزلي، الذي صنعنا وصنع كل الخليقة أيضا، موجودًا منذ الأزل محبًّا للتواصل. لذا لا يجب أن ننجرف – في حيرتنا – فالحق يتطابق مع ما هو حقيقي ومع التقدير الدقيق للحقيقة. فالحقائق العلمية تتطابق مع أشياء كما هي عليه في حقيقتها، بافتراض قدرتنا على التجاوب معها بحواسنا الطبيعية. أما الحقائق الروحية فهي تتطابق مع الله كما هو، ومع الحياة حسب ما قصدها هو أن نُعاش.

ونحن لا يمكننا إدراك هذه الأمور، إن لم يعلنها الله لنا. وفي حقيقة الأمر، ما كان ممكنًا لنا أن نصل إلى الحقائق العلمية، ما لم يُسرَّ الله بأن يهب العلماء الرواد البصيرة لذلك. فلم يعد الإنسان العصري أكثر ذكاءً من أسلافه، وهو إنما يخدع نفسه إن ظن غير ذلك؛ فهو ببساطة قد أُعطي بعض المفاتيح – أو الدلائل – التي لم تحظ بها الأجيال السابقة له.

وعندما نأتي إلى المعنى في الحياة، والحقيقة المطلقة، نجد أن للإعلان أهميته القصوى. فلله ذات، وهو يتفاهم مع الإنسان كشخص، ووسيلة الاتصال بين الاثنين هي "كلمة الله". ويخبرنا يوحنا أن يسوع المسيح – كلمة الله الحقيقي– موجود كالكلمة منذ البدء... فقد تكلم الله للإنسان، وأعلن ذاته له ، في لغة تُفهم من الجميع، هي لغة الحياة البشرية عندما صار الكلمة جسدًا (يو1: 14).

فإن كان هذا ما حدث بالفعل – حسب إيماننا المسيحي – فنحن نمتلك مصدرًا لفهم الله، والإنسان، والحياة، والموت، وأهمية كل منهم.

والوسيلة الوحيدة التي يمكننا من خلالها معرفة "كلمة الله"، هي من خلال الكلمة المكتوبة، التي سطَّرها بقوة الروح، أتباعه الذين عاينوه وعايشوه. فحياته – أي حياة كلمة الله، المسيح يسوع – مكتوبة في الأناجيل الأربعة، وفاعلية قيامته بالروح القدس، تتدفق من خلال سفر أعمال الرسل. كما أن الرسائل توسع إدراكنا وفهمنا لجوهره، وتطبق تعاليمه وقوَّته على حياة الإنسان. أما سفر الرؤيا فيوضِّح علاقته بالتاريخ الأبدي.

ونجد أيضا أن العهد القديم بكل نبواته وصوره الواضحة إنما يشير إلى هذا الواحد الحي المميَّز، "كلمة الله، يسوع المسيح".

ولذا، فعندما نبرز أهمية كلمة الله المكتوبة، فنحن لا نعبد كتابًا ونسجد له، وإنما نرى الله يتواصل مع الإنسان من خلال كلمات هذا الكتاب، وتفسيراته وأحكامه، منذ بدء الزمن. ونحن لا نملك مصدرًا وثيقًا آخر ، وأي تعبير آخر للاعتقاد في الحقيقة، إنما هو مجرد تخمين.

وتتضح الأمور بجلاء شديد في يو1: 18، عندما يقول: "الله لم يره أحد قط"، لذا فلا يمكن الارتكان إلى أي وصف بشري له. "ولكن الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر".

هناك شخص واحد يمكنه الإعلان عن الله وبدقة، ويرتكز هذا الإعلان على علاقة فريدة ومكانة قائمة ، فلكونه الابن الوحيد؛ فإن ليسوع المسيح معرفة متفرّدة بالله، ولكونه في حضن أبيه؛ فله مكانة خاصة جدا تمكّنه من الإعلان الصحيح عن الله. هذا الشخص الواحد "هو خبَّر".

وفيما يعلن يوحنا عن هذا الحق، فهو يستخدم كلمة يونانية ذات أهمية كبرى لأي واعظ، ومن هذه الكلمة نستنبط كلمة (exegesis) الإنجليزية والتي تعني تفسيرا أو توضيحا. وبكلمات أخرى، نستطيع القول بأن يسوع – بعلاقته بالآب ومكانته – كان الشخص الأوحد الذي أمكنه أن يُخرج الحق الإلهي، المُخفَى في أعماق ذات الله، إلى ضوء النهار من أجلنا، حتى نستطيع أن نفهمه وأن نراه.

وعند قيامه بهذا الدور، لم يكن ليسوع المسيح نفسه حرية الحيدان عن الحق الذي في الله، لم يكن عليه – إلا – أن يُخرج هذا الحق ويبرزه، لكي يراه الكل، وقد كان أمينا في ذلك حتى النهاية.

وما دور الواعظ إلا القيام بنفس المهمة تمامًا، إلا أن مهمتنا كوعاظ أصعب على كل حال؛ فليست لنا هذه العلاقة المتفرِّدة بالله مثل الرب يسوع، إلا عن طريق علاقتنا بيسوع فقط. لذا فعلينا أن نجدَّ ونجتهد أكثر؛ حتى نجد الحق الإلهي، ونجعله واضحا ليراه الكل. علينا التزام – كما كان على الرب يسوع أيضا – أن لا نتخطَّى حدود التعبير الصحيح لِما في قلب الله وفي ذاته. كان للرب يسوع أن يركن إلى مكانته وعلاقته المتفرِّدة بالله، بصورة مباشرة. ونحن علينا أن ننشُد الحق في المسيح يسوع، الكلمة الحي. ويمكننا أن نجد هذا الحق من خلال الكلمة المكتوبة فقط، وهذا هو الفارق بين وضعنا كوعاظ وبين يسوع المسيح.

إلا أننا لم نُترك بلا معين على الإطلاق، كلا البتة! فقبل أن يترك هذا العالم، وعد يسوع بأن يعطينا "معزِّيًا آخر، ليمكث معكم إلى الأبد – روح الحق ...."(يو14: 16- 17).

وأشار بولس بدوره إلى أننا "..لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله." وأضاف معلنًا أن ما تكلم به "....لا بأقوال تُعلِّمها حكمة إنسانية، بل بما يعلِّمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات" (1كو2: 13). ومع محدوديتنا، لكن الرب يسوع ليس مثلنا، ومع مرور ألفي عام على وعد يسوع، إلا أن روح الله لا يزال معنا؛ ليمكِّننا من فهم الحق الإلهي، وبالتالي تفسيره للجميع.

والإنسان العصري مدعو إلى الرجوع مرة أخرى للمفهوم الكامل للحق؛ حتى ينجو بسفينة حياته من الغرق في بحر الحيرة والارتباك. فالحق موجود ويمكن أن نجده، لقد حمل الرب يسوع كل الحق الإلهي، وأعلنه بكل أمانة كما هو. ولكن الإنسان العصري لن يتمكن من الرجوع إلى الحق، إلا إذا كنا نحن – في جيلنا – أمناء للحق، كما هو، في المسيح يسوع. وهذا يعني إلزام أنفسنا بالشهادة له كما نجدها في الكتاب المقدس، طالبين معونة روحه القدوس لنفهم، وقوة روحه لتوصيل الحق للناس. وبعبارة أخرى، يجب أن نعود إلى الوعظ "بكلمة الله" بقوة الروح القدس. ينبغي أن نرجع إلى "الكلمة"، في ثقة كاملة أننا فيها نجد الحق معلنا وموضَّحًا. ينبغي علينا أن نكف عن تجاهل هذه "الكلمة"، بل نصبح خدامًا لها. علينا أن نكف عن الحكم على الكلمة، ولنبدأ في إتاحة الفرصة لها، كي تحكم هي علينا. وأنا أومن أن جوهر الوعظ الكتابي، هو تقديم الحقائق عن الله وكلمته للجيل المعاصر. وهذا ما يعبِّر عنه د. ج. أ. باكَرْ في كتابه الرائع "Keep in Step with the Spirit"، حينما كتب يقول: "كانت النبوة – وستظل – حقيقة أينما وحينما يكون الوعظ بالحق الكتابي الأصيل – أي تُقدَّم وتفسَّر سواء من على المنبر أو في الاجتماعات غير الرسميَّة. فالوعظ يعني تعليم الحق الإلهي المُعلَن وتطبيقه، وهذه هي النبوة (الوعظ) كما كانت منذ القدم وستبقى هكذا."

ويظل جيلنا في مسيس الحاجة إلى مثل هذا (الوعظ) وإلى مثل هؤلاء المعلِّمين.

الفصل الثانى

الواعظ ورسالته

الحق من خلال الشخصية:
إن كنيسة الله في أنحاء العالم تحتاج إلى رجال الله في الخدمة. وحيثما يُفتقر إلى وجود هؤلاء، فلن يستمع الناس إلى وصايا الله، وما يُقال عن الكنائس في هذا الصدد ينطبق أيضا على الإرساليات.

لقد اختار الله أن يوصِّل رسالته من خلال الناس، فإعلانه الأسمى عن ذاته جاءنا من خلال إنسان – الكلمة الذي صار جسدًا. ومن خلال الرب يسوع المسيح – هذا الوسيط البشري الكامل – وصل الحق إلينا، فأشعة النور الحقيقي لم تُوقف أو تنكسر أو تُظلم ، عندما عبرت خلال شخصية الرب الشفافة.

ولا يزال اختيار الله هو أن يوصل الحق للإنسان من خلال الإنسان، بالرغم من عيوبنا وقصورنا.

في كتابه الشهير "محاضرات في الوعظ" Lectures on Preaching يصف "فيليب بروكس Philip Brooks" الوعظ بأنه: "توصيل الحق من خلال الشخصية". ويصف بولس مقامنا كسفراء عن المسيح في 2كو5: 20 فيقول: "كأن الله يعظ بنا". فالوعظ المؤثّر والفعَّال يعتمد على ما هو أكثر كثيرا من مجرد الخطابة الجيدة، والتركيب الدقيق للرسالة،ومعرفة طرق الوعظ المختلفة. فشخصيتنا هي التي تحدِّد نوع الرسالة التي يستقبلها سامعونا؛ فما نحن عليه، وعلاقتنا الشخصية بالله، هما جانبان حيويان في

وعظنا. فلا ينبغي أن نتوقع أن تكون عظاتنا قوية مؤثرة في أيام الآحاد، بينما تتسم حياتنا بالكسل واللامبالاة بقية أيام الأسبوع .

تحدِّد دعوة إرميا وخدمته الأهمية التي يعوِّل عليها الله في شخص المتكلِّم، فقد عرفه الله قبل أن يُولد. كرَّسه وعيَّنه نبيًّا قبلما خرج من رحم أمه (إر1: 5). لم يكن له خيار في عمله، ونُحِّيت جانبا كل اعتراضاته بخصوص صغر سنه، عندما جاءه الأمر بالذهاب إلى الشعب الذي أراد الله أن يتكلم إليهم، بالرسالة التي احتاجوا أن يستمعوا إليها (إر1: 7). كان على إرميا أن يتكلم، والنتيجة ستكون كلمات الله تخرج من فمه البشري، ويصل الحق من خلال شخصية إرميا (إر1: 9). والتفويض الذي أُعطي لإرميا بهذه الوسيلة تكرر مرارًا كثيرة في الكتاب المقدس لرجال مثل موسى وصموئيل وإيليا وإشعياء ودانيآل.

إن طرق الله ووسائله لا تتغير، ألا وهي: استخدام الإنسان. أي امتياز ، إذن، يمكن لأي منَّا نواله، أعظم من أن يُدعَى من الله، ليكون رسوله لشعبنا اليوم؟! إلا أنه، ما أقل الذين يَسْعَدون لقبول هذه الدعوة، سواء لهم أو لأولادهم، لو كان في متناولهم ممارسة مهن أخرى تدرُّ الربح الكثير، مثل الطب أو المحاماة.... الخ !

خطة الله

دعونا نتأمل جيدا في الواعظ ومركزه، في خطة الله لتوصيل الحق للناس. لقد وجَّه يوحنا المعمدان أنظار أبناء جيله إلى المسيح، وقد وُصفت خدمته فيما جاء في مر1: 2: "ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي، الذي يهيِّئ طريقك قدامك."

أولا: أمره:

باديء ذي بدء، المبرِّر الوحيد للوعظ هو الثقة التي من الله أنه القائل "أنا مرسلك" (حز2: 3، 4). لا يمكن رفض مثل هذه الدعوة، فعندما يرسلنا الله علينا بالطاعة، مهما كانت خططنا، ومهما بلغت درجة تعليمنا، ومهما كانت آراء عائلاتنا. ولكن إن لم يرسلنا الله، فلن نجرؤ على الذهاب. إن أرسلنا الله فلابد من الطاعة (1كو9: 16، 17). تحتاج

الكنيسة إلى رجال الله في الخدمة، فلماذا نجد القلائل الذين يتقدمون، ولاسيَّما خريجي الجامعات؟ ألا يدعو الله، أم أن البعض لا يصغون؟

ثانيا: رسوله (ملاكه):

يوصف يوحنا المعمدان بأنه "ملاكي.." أو "رسولي"، ويشتمل هذا الوصف على كل من مجد الواعظ وتواضعه. فهو امتياز عظيم لأي إنسان أن يكون رسولاً للإله الحي، خالق الكون، إلا أنه – وفي ذات الوقت – يُعطى مكانة متواضعة بكونه منوطا به مسئولية محدَّدة. إذن ليس الرسول شيئًا، إنما هو وسيلة إبلاغ فقط من قبل مُرسله؛ فتتحدَّد مسئوليته في نقل الرسالة، فقط لا غير. فهو ليس مهما، وينحصر كل امتيازه في شخص مرسله. إنه لا يؤلف الرسالة بل يوصِّلها فقط. ولا يجب أن يغيِّر فحوَى الرسالة، أو يقدم تفسيره الخاص لها. إنه خادم للرسالة، تماما كما هو خادم لمُرسِله.

ثالثا: نذيره:

على الرسول – في حالة الواعظ – مسئولية خاصة جدا: "لتهيئة الطريق" أو "إعداد الطريق للرب"، فهو يتقدم ليجهِّز سامعيه لاستقبال من هو أكثر أهمية منه، بما لا يُقاس، والذي ينوي الحضور. تتلخص مهمَّة الواعظ في تقديم الرسالة، ثم الانسحاب من المشهد: "ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص"، هذا الشعار يمكن رفعه أينما وعَظ البشر. أحيانا أجد في نفسي رغبة جامحة للصراخ في وجه الواعظ، أثناء كلمته قائلا له: "أخرج من المشهد يا رجل، أخرج من المشهد!". إنه يبدو واعظا ماهرا، لكن سيده يبقى متواريًا في ظلّه!!!

ويتكرر ظهور الثنائية المتلازمة – الامتياز والمسئولية، المجد والتواضع – مرارًا وتكرارًا في الكتاب المقدس، ومثالاً واضحًا لذلك ما جاء في 2كو5: 20، حيث يمكن شرحه في جدول (1):

جدول1: تحليل النص الوارد في 2كو5: 20

إذًا نسعى كسفراء عن المسيح	نحن نمثّل الله الذي دعانا
كأن الله يعظ	بسلطانه الإلهي
بنا	من خلال شخصيتنا البشرية
نطلب	من خلال شخصيتنا البشرية
عن المسيح	بسلطانه
تصالحوا مع الله	الرسالة التي يجب أن نوصلها

وهكذا نرى أن الواعظ يشغل مكانا واضحًا، من الامتياز الخاص والمسئولية المحدَّدة، فله مركزًا مرموقًا يشغله، وخدمة متواضعة يؤديها. ما هي إذن، سمات أولئك المدعوين من بيننا ليكونوا وعاظًا بكلمة الله؟ سنناقش هذه السمات بالنسبة لله، وللرسالة، وللسامعين.

سمات الواعظ المفسِّر للكلمة:

أولا: أن يكون لديه إدراك لعظمة الله وحقيقته:

لن تكون رسالتنا مقنعة، ما لم يكن لنا الإحساس القلبي والإدراك العقلي، لحقيقة الإله الحي وعظمته. قبل أن يبدأ إشعياء خدمته، احتاج أن يرى الرب مرتفعًا وعظيمًا، يملك، ويُعبَد، ويملأ مجده كل الأرض (إش6: 1 – 8). كما رأى حزقيال الله متواريًا، لكن مُعلِنًا عن ذاته. يجول دائمًا لكن لا يتغير. ثابتا، متسلطًا على الكل، قدوسا ولكن رحيمًا (حز1). ودانيال فارقته قوته وسقط على وجهه أمام الحق الذي هو الله (دا10: 2 – 9). ويوحنا الرسول سقط كميت عند أقدام المسيح المقام، عندما انبثقت أمامه الرؤيا (رؤ1: 12-17). حتى الرب يسوع نفسه قضى أربعين نهارًا وأربعين ليلة وحيدًا مخضعًا نفسه لمشيئة الآب، قبل بدء خدمته. للكاتب "أ. و. توزير A.W.Tozer" نصيحة للمؤمنين يقول فيها: "اصغوا للرجال الذين يصغون إلى الله". من أسباب ضعف الوعظ في هذه الأيام، ضعف معرفتنا بالله.

ثانيا: أن يكون له شعور بالعجز، متكلا على المعونة الإلهية:

رأى إشعياء الرب نفسه، يتعامل مع مشكلة شفتيه النجستين، وأُعطِيَ حزقيال الأمر بالوقوف على قدميه، وفي ذات الوقت أُعطِيَ الروح ليتمكن من ذلك. كما وضع الرب يده على دانيآل، وأقامه مرتجف اليدين والقدمين أولاً، ثم في وضع قائم تمامًا. وقيل ليوحنا أن لا يخاف، بينما لمست يد الرب اليمنى جسده المنبطح أرضًا. لا يمكن للإنسان، الذي عرف عظمة الله وحقيقته، أن يتكلم باستخفاف أو بعجلة؛ فهو يعلم نظريًّا وواقعيًّا، أننا بدون المسيح لا نقدر أن نفعل شيئا (يو15: 5). كثيرون يثرثرون اليوم، لكن قلائل هم الذين يتكلمون في حضرة الله، باتكال واع على قوته. إن عالمنا مليء بالكلمات، لكنه يعرف النذر اليسير عن "الكلمة" التي تأتي من الله. ونحن لا يمكننا أن نأتي بهذه "الكلمة" للآخرين، ما لم نقض الوقت أولاً في الإصغاء لما يقوله الله لنا.

ثالثا: أن تكون مسئوليته أن يجعل الرسالة جزءًا من ذاته:

عندما عُهد إلى حزقيال بأن يعظ، طُلب منه أن يفتح فمه ويأكل ما أعطاه له الله (حز2: 8)، حينئذ رأى الرسالة مكتوبة أمامه في دَرْج، ولم تكن بالبشرَى على الإطلاق. كان الدَّرج زاخرًا بكلمات الرثاء والحزن والويلات، وليس من إنسان يرغب في إعلان رسالة كهذه، ومع ذلك فقد أُمِر بأكل الدَّرْج؛ ليملأ جوفه منه، ثم يذهب. وحين أطاع الأمر، صار في فمه "كالعسل حلاوة"، بالرغم مما يحمل من رسالة محزنة. ومن الواضح أنه كان عليه – كمبشِّر – أن يستقبل الرسالة في قلبه، وأن يسمعها بأذنيه، ويجعلها جزءًا من ذاته بكل معنى الكلمة، قبل أن يذهب ويخبر بها الآخرين. وعلى نفس المنوال، نجد الرسول يوحنا في رسالته الأولى (1يو1: 1- 3) يستودع الحق للناس. هذا الحق كان "كلمة الحياة". لقد أمكنه أن يثني على هذه "الكلمة"؛ لأنه كان قد سمعها، ورآها، ولمسها بنفسه. جاءت الرسالة من قلبه ومن واقع اختباره الشخصي، تمامًا مثلما جاء في إش50: 4، 5، حيث أُعطِي النبي "لسان المتعلمين" وعرف أن "يغيث المُعْيِيَ بكلمة". أي واعظ هذا الذي لا يتوق لمثل هذه المقدرة في خدمته؟! لقد اكتسب إشعياء هذه القوة؛ لأن الله كان "يوقظ كل صباح، يوقظ له أذنًا ليسمع كالمتعلّمين"، وكان مستعدًّا للتجاوب، بالرغم من المعاناة والخزي في ذلك (عدد5، 6). وكما يقول جورج آدم سميث:

"إن النبي يتعلم رسالته بالإصغاء مثل الطفل الصغير؛ فالنعمة تُسكب على الشفاه من خلال الآذان المفتوحة." من المهم أن نعرف أن هذه الفقرة نبوة عن المسيح نفسه (أعداد5، 6). يجب أن يكون إصغاء الواعظ، كل صباح لصوت الله، مصدرًا خصبًا لمادة الخدمة للآخرين، لكنها مهمة تتطلب عناية فائقة.

خلال رحلاتي، أصابتني الدهشة، عندما وجدت الكثيرين من الخدام المؤمنين عاجزين عن المواظبة على ما يسميه مؤمنو جيلي ب"الخلوة الشخصية". على مدى ثلاثين عامًا من الوعظ، وجدت أن خلوتي الشخصية في الصباح الباكر، هي ليست فقط أثمن وقت في اليوم، بل المعين الذي لا ينضب لعظاتي. وكثيرًا ما سُئلت عما أفعله خلال ذلك الوقت، لذلك، سوف أسطّر هنا ما يعتبره البعض واضحا وبديهيا: أنا أخصِّص الصباح الباكر، لأنه الوقت المثالي الذي أكون فيه متيقِّظًا ونشيطًا، وبما أني أعيش معظم حياتي في المنطقة التي تقع شمال خط الاستواء بحوالي ثلاث درجات، فهذا الوقت من اليوم هو الأكثر برودةً وجمالاً. وأنا لا أعمل بعد العاشرة مساء، أما صديقي الذي يبدأ يومه في هذا الوقت المتأخر؛ والذي يحلو له النوم في الصباح الباكر، فهو يتخذ من منتصف الليل، الوقت الخاص لخلوته الشخصية. نحن جميعًا مختلفون، وعلينا أن نعرف أنفسنا.

عادةً أبدأ بقراءة ما يثير ذهني وفكري، وغالبًا ما يكون أمرًا عقائديًّا، مما يهيِّيء ذهني ويحوِّل أفكاري تجاه الله. ثم أصلي طالبًا قيادة الروح القدس، وأتحوَّل إلى الكتاب المقدس، فأقرأ سفرًا في كل مرة، وأقضي من عشرين إلى ثلاثين دقيقة في دراسة هذا السفر، مع كتابة الملاحظات في أوراق منفصلة، أحفظها بعد ذلك في "حافظة". وأسجل في هذه الصفحات نتيجة الدراسة والتأمل في الآيات القليلة التالية، والتي يتوقف عددها على نوع الفقرة موضوع الدراسة.

أحيانا أستعين بكتاب تفسير ليكمِّل دراستي الخاصة، وأستعمل تفسيرًا واحدًا لكل السفر لفترة من الزمن. وبهذه الوسيلة أنتهي من أحد أسفار الكتاب، وقد وضعت في

الحافظة الملاحظات التي وجدتها ذات قيمة روحية ثمينة، ومثيرة للتحدي وللفكر. ومع أني أقوم بهذه الدراسات دون أن أفكر في الوعظ ، إلا أن هذه الملاحظات تشكّل مخزونًا ثمينًا لا ينضب، لعظات مستقبلية. وهذا أيضا يعني أنه عندما أُقدِم على الوعظ من فقرة من الكتاب ، يكون الرب قد استخدمها أولا لحياتي وقلبي ، وهكذا يكون الحق قد انطلق من خلال شخصيتي. أما بقية هذه الخلوة الصباحية فأستخدمها في الصلاة، مبتدئًا بالحقائق الإلهية التي استوعبتها ذلك الصباح، ثم الجانب التعبدي وبعدها إلى التشفع من أجل الأسرة، والأصدقاء، وزملاء العمل ، وأخيرًا للعالم الأوسع.

رابعا: أن تكون له الشجاعة لإعلان ما تسلَّمه من قِبَل الله:

لقد حُذِّر إرميا بألا يحتقر صغر سنه (إر1: 6- 8)، وألا يرتاع من رد فعلهم تجاه رسالته (إر1: 17 – 19). سيحاربه سامعوه، ولكن إلهه سوف يصنع منه مدينة حصينة، وسوف يكون معه لينقذه.

وأُخبر حزقيال بأنه لو كان قد أُرسل إلى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان لسمعوا، لكن شعبه كانوا صلاب الجباه وقساة القلوب، وبرغم ذلك وعده الله بأن يجعل وجهه في صلابة وجوههم، لكنه لم يذكر البتة بأنه سوف يقسِّي قلبه مثلهم (حز3: 5 – 11).

وقد حذَّر عالي – الكاهن المسنُّ – الصبي صموئيل، من كتمان رسالة أُعطيت له من الله للآخرين (1صم3: 17، 18). يمكن للشجاعة أن يشوبها التعصب، لذا فهي تحتاج أن تتشح بالتواضع والوعي الصادق، لكنها مع ذلك ذات أهمية قصوى للواعظ.

خامسًا: أن تكون له الرغبة في تعلم كلمة الله وطاعتها:

ينبغي على الواعظ أن يشترك مع سامعيه في دراسة كلمة الله؛ فوجوده على المنبر لا يعني أنه أعلى من الكلمة، فربما يريد الله أن يعطيه من الدروس ما لا يقل عن التي تُعطَى لسامعيه أيضا. لقد أمر بولس تيموثاوس قائلا: "أوص بهذا وعلِّم (1تيمو4: 11)، ويقصد "بهذا": تلك النصائح والتوصيات التي أُعطيت بالفعل لتيموثاوس نفسه في

الأعداد السابقة. كان عليه أن يتغذى بحقائق الإيمان والتعليم الصحيح الذي يتبعه. كان عليه أن يبتعد عن الخرافات الدنسة العجائزية .. وما إلى ذلك.

سادسا: أن يكون له الاهتمام بفهم احتياجات السامعين وتسديدها:

بعض الوعاظ يندر أن يقوموا بزيارة شعب كنيستهم، فكيف لهم أن يفهموا أناس لا يعرفونهم؟ مع أن كلمة الله لا تتغير من جيل إلى جيل، لكنها لابد أن تُقدَّم من جديد إلى قلوب الناس وعقولهم بأسلوب يفهمونه. كان على حزقيال أن يذهب إلى المسبيين بنفسه، قبل أن يبدأ خدمته (حز3: 15)، وكانت خبرة محيِّرة له. وتحمَّل موسى أربعين سنة في البرية، قبل أن يدعوه الله ليقود شعب إسرائيل، خلال نفس هذه البرية المحرقة. وكان الرب نفسه قادرًا على تعليم العشارين والخطاة، لأنه كان يفهمهم جيدًا، لهذا فمن الأهمية بمكان أن يكون للواعظ صلة مباشرة ومتجدِّدة بالشعب الذي يعظه، من حيث أفكارهم، وآمالهم، ومخاوفهم، ورغباتهم. ليس عليه أن يصوغ الخدمة في قالب محبَّب للسامعين ومقبول لديهم، بل أن يقدم لهم الرسالة في قالب يرتبط باحتياجاتهم. فأمثال المسيح اقتبسها من الحياة اليومية، لذا فإنها كانت تصل مباشرة إلى القلوب.

لقد أسهبت في حديثي عن مكان الواعظ، إذ أنه المفتاح للوعظ المؤثِّر والفعَّال. كان للرب يسوع المسيح أكثر الخدمات تأثيرًا على وجه الإطلاق؛ ذلك لأن التصاقه بالآب، كان حيًّا فاق أي التصاق. هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى كانت له الصلة الحية والمستمرة بعامة الشعب. عندما كان يتكلم، كان يتكلم باسم الإله الحي وفي حضرته، وكان يخاطب احتياجات الناس في جيله؛ فكانوا عندما ينصرفون يرجعون بانطباعات لا تزول، عن قوة تعاليمه وسلطانها، وعن عمق فهمه.

فإذا أردنا أن نكون فعَّالين كوعَّاظ ومعلِّمين للكلمة ، علينا بالإصغاء إلى الله وفهم الناس، وهذا يتضمن الربط بين الدراسة والاحتياجات العامة للناس، بين الوعظ من المنبر والزيارات الرعوية؛ فكلاهما أساسي للخدمة الحقيقية المؤثِّرة.

أسئلة للدراسة

1- تأمل في الفقرات التالية أو في واحدة منها:
(إش6 ؛ إرميا1 ؛ حز 1- 3: 27 ؛ دا10؛ رؤ1: 9 – 20).
اكتب تعليقك ولاسيما على الآتي:

أ) كيف رأى – كل واحد من هؤلاء الأشخاص – الله واختبره.
ب) العلاقة بين رؤية كل منهم واحتياجات الناس في أيامه.
ج) نظرة الواعظ منهم إلى نفسه.
د) كيف أعطى الله الواعظ إحساسا بقدرته على إنجاز مهمته.
هـ) السمات المطلوبة في الواعظ.
و) مضمون رسالة كل منهم وحدودها.

2- كيف اندمج كل من هؤلاء الوعاظ مع شعبه؟
3- ما هي الأمور التي حدثت، في حياتهم الخاصة وتاريخهم، التي استخدمها الله لتهيئة كل منهم لخدمته؟
4- كيف ننمِّي معرفتنا بالله ورؤيتنا له؟

الفصل الثالث

طبيعة الوعظ التفسيري

ماذا نقصد بالوعظ التفسيري؟
معظم العظات تبدأ بنص من الكتاب المقدس، لذا فمن الواضح أنه يعني أكثر من ذلك بكثير.

خلفية العهد القديم:
أفضل وسيلة لإدراك التفسير الصحيح، هي أن نلقي نظرة على طبيعة الوعظ في الكتاب المقدس، وكمثال لذلك لنتأمل في ما جاء في سفر نحميا 8: 1-8 .

1- مستمعون متلهفون:
أول ما نلحظه في هذا الجزء هو خلفية العظة، يخبرنا الوحي في العدد الأول، عن اجتماع كل الشعب كرجل واحد في الساحة التي أمام باب الماء، وطلبهم من عزرا الكاتب، أن يأتي بسفر شريعة موسى "التي أمر بها الرب إسرائيل". هنا نرى شعبا متحدًا في رغبة جارفة لسماع كلمة الله، ومعرفة كتاب شريعة موسى، ليس كخطاب كتبه أحد آبآئهم، ولكن كهبة الله لشعبه. كانوا في لهفة لمعرفة ما أراد الله أن يقوله لهم. كانوا جماعة اتسمت بالاشتياق الشديد؛ إذ أن عزرا استمر في قراءة كتاب الشريعة، من الصباح وحتى انتصف النهار، وكانوا كلهم آذانًا مصغية له. هنيئا لهذا الخادم الذي له مثل هذه الجماعة المتعطشة لكلمة الله! بعكس أولئك الذين يحدِّد شيوخهم، أو شمامستهم أو مجلسهم، أنهم يتحملون ما لا يزيد على العشر دقائق!!

2- الخضوع:

لم يعقد الاجتماع في الهيكل أو أي مبنى خاص، لكن "وقف عزرا الكاتب على منبر الخشب"، حتى أنه عندما تكلَّم "كان فوق كل الشعب". وعندما فتح السفر "وقف كل الشعب". ويمكن الاستنتاج أنهم استمروا وقوفًا طوال فترة حديثه. يعترض الكثيرون اليوم على رمزية وضع المنبر، في موضع أعلى من شعب الكنيسة، وغافلين أن هذا الرمز لا يعني عصمة الواعظ وكماله، ولكن يُقصد به خضوع الشعب لكلمة الله. كانت هناك أيضا وحدة قوية في هذه المناسبة، فقد وقف بجانب عزرا زملاؤه من القادة، مؤكدين على قبولهم لسيادة الناموس.

3- العبادة:

لقد "بارك عزرا الإله العظيم، وأجاب جميع الشعب: "آمين، آمين، رافعين أيديهم وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض" (عدد6). كل ذلك قبل أن يبدأ عزرا في تفسير كلمة الله. ربما لا نستطيع تبرير ضرورة تقديم خدمة الكلمة في نفس الموعد من كل أسبوع، لكن هناك حجة كتابية قوية، تبرر ضرورة تهيئة القلب لقبول الكلمة عن طريق العبادة. وكل الخدام يعلمون أن مهمتهم في تقديم كلمة الله تتحدَّد صعوبتها أو سهولتها، تبعًا لنوعية العبادة التي تصاحب الكلمة.

تعريف

ما يثير اهتمامنا فعلاً هو المثال للتفسير الجيد المعلن لنا بوضوح في (عدد8)، إنه لمثال بسيط جدا. باديء ذي بدء، فإنهم قرأوا ما جاء في السفر، وهو ما أقرُّوا جميعًا أنه شريعة الله. وفي أيامنا الحاضرة، نحن لا نسمع الكلمة فقط، ولكن يمكننا أيضا قراءتها ومتابعتها بذواتنا من كتبنا المقدسة الخاصة بنا، فالشعب القديم لم يكن لهم كتب الشريعة الخاصة بكل واحد. "قرأوا في كتاب شريعة الله، ببيان، وفسَّروا المعنى، وأفهموهم القراءة". كان هناك أكثر من مجرد إفهام الشعب لمعاني الكلمات التي كانت تُقرأ. كان

احتياجهم هو معرفة ماذا يعني هذا الجزء من شريعة الله لهم، في أيامهم وفي ظروفهم، وهنا فقط يمكن للشعب أن يحفظوا الكلمة ويضعوها موضع التطبيق.

من هنا نرى أن تفسير كلمة الله يعني: "شرحا لجزء معين من الكتاب المقدس، بلغة احتياجات شعب الله وظروفه؛ حتى يفهم الناس ما الذي يريد الله أن يقوله لهم". ومن الأهمية بمكان في التفسير أيضا، أن يتم شرح التطابق، بين الظروف التي كتب فيها النص، وتلك التي نعاصرها في أيامنا؛ حتى يمكن تفسير مباديء كلمة الله – التي لا تتغير البتة – في ضوء الاحتياجات الحالية. وفي أيام عزرا، لم يتوقف الأمر عند فهم الشعب لما قُريء، لكن تفسير الكلمة تحوَّل سريعًا إلى عمل. وأي وعظ لا يصل إلى هذه النتيجة، يصبح زهيدًا في قيمته.

كانت لكلمات عزرا نتائج عاطفية؛ ففي عدد9 قيل أن: "جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة." لقد تحركت أحشاء الشعب. دعونا لا ننزعج حين تتحرك أعماق مشاعر الناس.

كانت النتائج سريعة وقد ذكرت في عدد12: "ذهب كل الشعب ليأكلوا ويشربوا ويبعثوا أنصبة ويعملوا فرحًا عظيمًا، لأنهم فهموا الكلام الذي علَّموهم إياه." لا شيء يمكن أن يُسِرَّ أكثر من قلب يفهم نعمة الله وصلاحه تجاه شعبه. ما أحوجنا إلى المزيد من العظات التي تقود إلى تلقائية العطاء، والفرح، والابتهاج!

لقد أسفرت عظة ذلك اليوم أخيرًا، عن تنفيذ الشعب للوصية بإقامة عيد المظال "وكان فرح عظيم جدًا" (عدد13 – 17). لا يقصد بالتفسير الكتابي الحق، مجرد الإشباع الذهني للناس فقط، لكن يعني توجيه إرادتهم للتنفيذ أيضا؛ فتفسير الكلمة يتضمن المعرفة الذهنية، وأيضا تحريك القلب وتوجيه الإرادة.
أمثلة من العهد الجديد

دعنا نتجه إلى أمثلة تفسير الكلمة في العهد الجديد، ومع أنها ليست عظات بالتحديد، إلا أنها توضح المبادئ الأساسية للتفسير.

1- المترجم الأعظم:

في إنجيل لوقا الأصحاح 24، جاء ذكر موقفين للرب يسوع المسيح نفسه. ففي واقعة الطريق إلى عمواس، نقرأ الآتي: "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب" (عدد27). لقد فسَّر لهما الكتب، وهنا استخدم لوقا البشير كلمة "فسَّر"، بينما استخدمها في أع9: 36 بمعنى "ترجمة"، أي تحويل الكلمات غير المفهومة للسامع إلى كلمات يمكن فهمها، وهو أمر مألوف في حياتنا العادية. وعملية تفسير "الكلمة" تؤدي نفس المهمة؛ فمهمة الواعظ، تحويل لغة الكتاب التي يصعب على السامع فهمها – لافتقاره إلى معرفة خلفية الظروف المحيطة،أو الخلفية التاريخية للنص أو أي سبب آخر – إلى المعنى الذي يستطيع كل السامعين فهمه وإدراكه.

2- المفسِّر الأعظم:

سوف تلاحظ أيضا أن يسوع بدأ الحديث عن موسى والأنبياء، أي استعان بالعهد القديم، وهذا كل ما كان عنده، وكان يكفيه ذلك. لم يدرك تلميذا عمواس، أن على يسوع أن يتألم ويموت؛ فأخذهما يسوع عبر العهد القديم موضحًا لهما كيف أن الله سبق وأخبر بما تم حدوثه وبهذه الكيفية. نحن غالبا ما نجد العهد القديم عسر الفهم، وفي واقع الأمر، معظمنا نادرا ما يستعين به في عظاته. إن تاريخ بني إسرائيل وعاداتهم وثقافتهم تبدو بعيدة تمامًا عن حياتنا المعاصرة، مع أن الإنسان لم يتغير في جوهره؛ فهو مازال يحب ويكره، ويخاف، ويأمل، كما كان منذ أيام العهد القديم. والاحتياج هنا إلى شخص يترجم – أو يفسِّر – الأساسيات الثابتة في السلوك، إلى معان تتفق مع حياة الإنسان المعاصر، وهذا هو عمل الواعظ، تمامًا كما عبَّر يسوع من خلال العهد القديم كله، وأوضح لهما "جميع ما تكلَّم به الأنبياء، عن شخصه هو". وهكذا يجب أن نرى المسيح من خلال العهد القديم ونفسره لسامعينا. كانت رسالة يسوع في ذلك اليوم مبنية على أساس كتابي، وكان محور التفسير هو المسيح، لذا جعلت قلبيهما ملتهبين في داخلهما، وهذا ما يحدثه التفسير الصحيح.

والمثال الثاني للتفسير نجده في عدد44 من الأصحاح نفسه. أُخذ النص هذه المرة من كلمات الرب نفسه: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم." وأردف موضحًا، أن الكلمات التي قالها كانت مطابقة لتلك التي كُتبت عنه في الناموس، والأنبياء، والمزامير، أي في الثلاثة أقسام الرئيسية من التوراة العبري. ويذكر الوحي في الأعداد45 – 47 أن الرب "فتح ذهنهم ليفهموا الكتب"، وهذا هو التفسير. والتعبير "فتح ذهنهم" يعني انفتاحًا كاملاً وتامًّا، وقد استخدم هذا التعبير في مواضع أخرى عن فتح أعين العمي، وعيني استفانوس عندما رأى السموات مفتوحة (أع7: 56)، وقلب ليديَّة (أع16: 14)، وأيضا عندما فتح يسوع الكتب لهما (لو24: 32).

دور المفسِّر

يجب أن يكون المفسِّر قادرًا على استيعاب كلمة الله؛ حتى يفتح أعين الناس على تطبيقها في حياتهم اليومية، فهو خادم لهذه الكلمة، وللناس أيضا. إنه لا يقف في هذا المكان ليبهر الناس بذخائره من القصص المسلِّية، وبراعته في التعبير عن آرائه الشخصية. عليه أن يعرف ما قاله الله – ولازال يقوله – من خلال الأسفار المقدسة وأن يقدِّمه – بقوة الروح القدس – إلى قلوب الناس وإلى قلبه هو شخصيًّا.

وفي حقيقة الأمر فإن المفسِّر يتعامل مع ثلاثة عوالم مختلفة:

فعليه أن يدرك عالم الكتاب المقدس، والجانب التاريخي والثقافي والروحي لهذا العالم. عليه أيضا أن يعرف العالم المعاصر، حيث يعيش الناس؛ حتى تصيب رسالته الهدف، وتكون مرتبطة بجلاء بالأوضاع القائمة، والثقافات السائدة، وباحتياجات الناس. عليه كذلك أن يعرف عالمه الخاص به، وتكون له القدرة على أن ينأى بنفسه، عن بعض الأمور التي غالبا ما تكون قد أُزيحت من عالم شعبه ، ودعوني أوضح ما أقصده:

عالم الكتاب المقدس يشبه الشريحة التي تستخدم في "أداة تسليط الضوء projector" صغيرة الحجم، والتي يصعب رؤية محتواها، وأحيانا تبدو مظلمة للعين. وفي حقيقة الأمر، ربما تكون الشريحة ذاتها شفافة ونقيَّة ومهمة، وحُضِّرت بعناية، لكنها في حد ذاتها تبدو

قليلة القيمة للمشاهد العادي، الذي ربما يلقيها بعيدًا باعتبارها عديمة الجدوى. وما تحتاجه هذه الشريحة هو أداة تسليط الضوء (أو بروجيكتورprojector) لضبط وضع الشريحة والضوء ليضيء الصورة، والتكبير لتصبح واضحة وجليَّة لعين المشاهد.

هكذا الواعظ – أو الخادم – فإنه يلعب دور "أداة تسليط الضوء projector" مؤَيَّدا بنور الروح القدس، ومهمَّته هو تكبير وتوضيح ما كان قبلاً مبهمًا وصعب الفهم. وليس على "أداة تسليط الضوء" أن تغيِّر ما في الشريحة، بل أن تلقي الضوء عليها. بطبيعة الحال، إذا كانت "أداة تسليط الضوء" نفسها لا تحدِّد الصورة، أو ذات عدسات غير نظيفة، فلا عجب عندئذ أن ينبذ الناس الشريحة باعتبارها عديمة الجدوى.

تمر الصورة التي في الشريحة عبر العدسة، تمامًا كما يمر الحق عبر شخصية الواعظ، وعند هذه النقطة ينبغي للواعظ أن يعرف عالمه الخاص، ويكون قادرًا على تقدير النتائج المترتبة عليه؛ فهذا العالم غالبًا ما يكون أكاديميا بدرجة كبيرة، لاهوتيا وكنسيًّا، فإذا غلب على الرسالة هذه الاتجاهات، يمكن للصورة النهائية أن تبدو مشوَّشة للغاية، وغير واضحة المعالم للشخص العادي.

أنا لا أدعو إلى ما هو غير لاهوتي أو غير مثير للتفكير؛ فعلينا استخدام أذهاننا، وأية فقرة في الكتاب المقدس يجب أن ننظر إليها في ضوء اللاهوت، ولكن ما يهمني هو أن نضع في الاعتبار عدم اختلاف أسلوب اقتراب الواعظ من النص عن أسلوب اقتراب شعب الكنيسة العاديين، وإلا صار كلامنا فوق مستوى سامعينا، إذ نستخدم أفكارا ومصطلحات لا قوة لها على السامعين، لا تعدو أن تكون لغة أجنبية بالنسبة لهم. ونظرًا لإخفاق وعاظ كثيرين، في تدريب أنفسهم على الخروج من دائرة عالمهم الخاص، فإن عظاتهم لا تحرِّك سامعيهم.

تحتاج الشريحة أيضا إلى "شاشة"؛ حتى يمكن عرض الصورة المكبَّرة عليها، وعليها يكون الضوء مركَّزا، وتصبح الصورة الصغيرة واضحة المعالم ومرئية بوضوح، فتتحول

الظلمة إلى نور، والغامض يصبح بيِّنًا. شعب الكنيسة هو الشاشة، حيث يجب أن يُركَّز ضوء الحق الكتابي على حياتهم؛ فيُترجَم هذا الحق إلى أعمال. وما لم يدرك الواعظ أين يقف شعبه، وما هي احتياجاته ومشكلاته، فسوف يخفق في هذه الخطوة الأخيرة والحيوية، مع أن كل خطوة هي حيوية في مهمة توصيل الرسالة.

مما سبق شرحه ربما يبدو التفسير هينًا، لكن الحقيقة المؤسفة تبيِّن أن قلائل من الوعاظ هم الذين يمارسونه، وهكذا فلا تحمل عظاتنا سوى النذر اليسير من الحق الإلهي، وكلمته متوارية خلفها، وإن كانت تُحرِّك سامعينا إلى حين، لكنها لا تبني إيمانهم أو تدفعهم للرجوع إلى كتبهم المقدسة، ليفتشوا فيها عن صحة ما نقول.

وأعود فأقول، إنه يمكننا امتحان أنفسنا عندما نسأل أنفسنا: كم من سامعينا يحملون معهم كتبهم المقدَّسة؟ وإذا فعلوا، إلى أي مدى نجدهم مدفوعين للبحث فيها ؟

أسئلة للدراسة

ادرس عظة بطرس يوم الخمسين (أع2: 14- 41).

1- ما هو الجزء من الكتاب المقدس الذي استعان به بطرس كأساس لعظته؟
2- كيف فُسِّر ذلك من حيث احتياجات السامعين وظروفهم؟
3- ما هو الدليل على أن بطرس أثار فكر الشعب؟ تتبَّع تطوُّر تقديم البرهان. ماذا كانت ذروة البرهان؟
4- كيف تستنتج أن بطرس حرَّك قلوب الشعب؟
ما هي الكلمات المحدَّدة في عظته التي هدفت إلى ذلك؟
5- ماذا توقَّع بطرس أن يفعل الشعب كنتيجة لرسالته؟
6- كم عدد الأفكار اللاهوتية العميقة التي تكلم عنها بطرس في عظته؟ وما مدى مناسبتها للموضو

الفصل الرابع

الوعظ الهادف

ما لم يكن لك هدف فلن تحقق شيئا. فإن كانت عظاتك الأسبوعية تتناول موضوعات مختلفة بدون خطة عامة يقودها الروح القدس إلى ذهنك، فسوف تكون المحصلة، شعبا ليس له فهم متكامل عن الإيمان. الحق المسيحي هو وحدة كاملة متناغمة، وقد أُوصِينا بأن نمنطق أحقاءنا بالحق. وكما تتماسك أسلحة الجندي الروماني مع بعضها البعض، بواسطة المنطقة (أو الحزام) التي تحيط بالحقوين، تترابط أسلحة المؤمن ببعضها البعض بواسطة الفهم المتكامل للحق عن طريق ترابط التعليم. كيف نتوقع لشعبنا أن يتمسك بالحق حين يستمع إلى خادم مختلف كل أسبوع؟ ربما يدل ترك المنبر لضيف ما على تواضع الراعي، لكنه من جهة أخرى يؤدي إلى ضعف الجماعة روحيًّا. كيف يثبتون في الحق، إن كانت عظات الآحاد لا ترتبط بما قبلها وما سيأتي بعدها؟

مما يدعو للأسف، أن الغذاء الروحي لبعض المؤمنين، لا يتعدى العظات التي يسمعونها أيام الآحاد، فما هو نوع هذا الطعام الذي نخطط أن نقدمه؟

إنني على قناعة تامة بأن الوعظ التفسيري المنتظم والمخطَّط مقدما تخطيطا جيدا، هو أفضل وسيلة لتغذية شعب الكنيسة، وسأذكر هنا أسبابًا عدة لذلك.

مبررات الوعظ التفسيري الهادف

1- *يمكن اكتشاف خطة الله الكاملة، من خلال الوعظ المنظَّم تبعًا لخطة موضوعة مقدَّما، سواء بدراسة سفر بذاته، أو بتغطية موضوعات بعينها:*

نحن – بذلك – نتخلَّص من تقيدنا بموضوعاتنا المفضَّلة، عندما نجد أنفسنا نتجه إلى رسالة رومية – مثلاً – في الأحد التالي، ونعظ عما يقوله الجزء التالي، وليس ما نحب أن نقوله نحن. هل واتتك الفرصة كي تستمع إلى واعظ له موضوعاته التي يفضِّلها ويحبها؟ ربما تكون هذه الموضوعات أساسيات الأناجيل، فمع أنها موضوعات جيدة جدا، إلا أنها تُستهلك حين يستمر في الوعظ بها، مهما كان النص الكتابي الذي يستخدمه، ولا يتكلم عن سواها إلا في النذر اليسير. وبالنسبة لشعب الكنيسة أيضا، فيمكنهم استنتاج ما سوف يقال مقدما، وتنغلق أذهانهم من بداية العظة.

2- *التفسير المنتظم يتيح لنا الفرصة لمناقشة موضوعات هامة تتعلق بالسلوك المسيحي في الحياة، بصورة طبيعية:*

تتضمن حياة يوسف، التعرض لتجربة الخطية الجنسية مع زوجة فوطيفار. إذا اختار أحد القسوس هذا الجزء كموضوع لعظته بدون مقدمات أو أسباب واضحة، فإنه يوصف بأنه جريء أكثر مما يجب، وسوف يتساءل الناس عن غرضه، أو من الذي يقصده بذلك الموضوع، أو إن كان الواعظ نفسه يعاني من عقدة ما في تركيبة حياته. لكن مثل هذه الأمور تحتاج إلى مناقشتها في هذه الأيام، فالكثير من المؤمنين يفتقرون إلى تعليم يعدُّهم للزواج، أو لمواجهة عالم بلا مباديء أخلاقية؛ لذا فسلسلة من العظات عن حياة يوسف، تجعل التطرق إلى التجربة الجنسية أمرًا طبيعيا، يغني عن التساؤلات حول حتمية مناقشتها.

3- *عندما يستمع شعب الكنيسة إلى الوعظ التفسيري المهدَّف، سوف يفكرون فيما يمكن أن يسمعونه لاحقا:*

مثل هذا الوعظ سيثير شغفهم لمعرفة ماذا يمكن أن يحدث بعدئذ، بل ربما يصل حد فضولهم إلى درجة مراجعة فقرة كتابية مقدما قبل حضورهم للكنيسة، وأثناء إصغائهم للعظة سيجدون الدافع للرجوع إلى كتبهم المقدسة ليفهموا معنى الفقرة. وهكذا سيكون لزامًا عليهم الالتزام بإحضار كتبهم المقدسة معهم؛ فهم في حاجة إليها. فضلاً عن ذلك، فربما يدفعهم التفسير المبسَّط الدقيق، إلى البحث والدراسة لفائدتهم الشخصية، فتُزرع في أعماقهم قنبلة روحية موقوتة ومميِّزة، ينتج بانفجارها مزايا لا تُحد للكنيسة.

4- *ستأخذ المباديء الأخلاقية – سواء في الحياة الشخصية أو الاجتماعية – مكانها في التفسير المهدَّف المنتظم:*

معظم الوعظ الإنجيلي عقائدي. وتأخذ العقيدة مكانها وأهميتها هذه الأيام بصفة خاصة؛ لظهور الكثير من النظريات اللاهوتية غير المطمئنة، التي تنساب في كل اتجاه. صحيح أن رسائل العهد الجديد مليئة بالعقيدة، لكنها أيضا غنية بالمباديء الأخلاقية الهامة. تُرى ما هو معدل طرح هذه المقاييس الأخلاقية أمام الناس في هذه الأيام؟ متى كانت آخر مرة سمعت عظة، أو علَّمتَ عن العلاقة بين رئيس العمل ومرؤوسيه، أو بين الزوج وزوجته، أو بين الوالدين وأطفالهم؟ لقد تسبَّب عدم الإخلاص في العمل انزعاجًا شديدًا للمؤمنين في هذه الأيام، تُرى هل يعلمون ما يقوله الكتاب المقدس في هذا الصدد؟ وكيف عالجه المؤمنون الأولون في عصرهم آنذاك؟

5- *سيتخذ العهد القديم مكانه في الوعظ التفسيري سابق التخطيط:*

ما مدى حدوث ذلك في كنيستك المحلية؟ لا يزال – في عصرنا هذا – إنذار عاموس يدوي ضد الجور والظلم الاجتماعي. كم تبدو مواكبة للعصر تلك الأحكام الإلهية ضد المجتمعات الظالمة في سفري إشعياء وإرميا! وكم تبدو أسئلة حبقوق لله

موافقة تمامًا لأسئلتنا نحن في هذه الأيام! إن الإنجيل ليس منهاجًا اجتماعيا بالدرجة الأولى، إلا أنه يحتوي على مضمون اجتماعي، عندما نهمل هذا الجانب ولا نعلّمه، يرفض المفكّرون الكنيسة باعتبارها غير موضوعية. لقد واجه كل من حجي وزكريا مشكلات مجتمع نامٍ، يكافح ويكدح ليتمكن من الوقوف على قدميه، بعد سبعين عامًا من الفوضى والتَرْك، مجتمع يتألف من أناس محبطين قانطين. إن القصد الإلهي الكامل يشتمل على كل هذه الأمور.

على أيِّ حال، فالوعظ التفسيري كتنظيم الغذاء (لخفض الوزن)، فأنت لا تلاحظ فرقًا بصفة مباشرة وسريعة، لكن على المدى الطويل – وبصورة غير محسوسة – تتغير الصورة وتصبح الثمار واضحة جليَّة. في عصر السرعة هذا، نتوقع نتائج فورية سريعة – وأحيانًا يعطيها الله في كَرَمِه – لكن يسوع نفسه أعطى مثلاً عن ملكوت الله، نبَّه فيه أن الحبة تحتاج إلى وقت لكي تنمو، وغالبا ما تنضج بعيدًا عن أبصار الناس (مر4: 26 – 29).

لقد ناشد بولس المؤمنين في رومية12: 2 أن "يتغيَّروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم"، وهي عملية مستمرة وتدريجية، ويروق لي أن أشبِّهها بطريق يخترق الحشائش الطويلة، فعند مسيرك لأول مرة بين الحشائش، فإنك لا تجد أنك قد أنجزت الكثير، لكن باستمرارك في المسير خلال هذا الطريق؛ يصبح أكثر سهولة تدريجيا. هكذا الحق الكتابي، عندما يَعْبُر إلى الذهن للمرة الأولى، يكون ذا تأثير لا يكاد يُلمَس، لكن استمرار التأكيد عليه، من خلال التفسير الكتابي المنظَّم، سيؤدي في النهاية إلى التحوُّل في الاتجاه، الذي يؤدِّي بالتالي إلى تغيير فعَّال في السلوك.

عوامل يجب مراعاتها في الوعظ التفسيري الهادف

1- *لابد قبل كل شيء، الحرص في مراعاة التوازن في عظاتنا* :

إن الزج بكل المباديء الأخلاقية، يمكن أن يكون له نفس أضرار تحاشي الحديث عنها. بعض الوعاظ لديهم المقدرة على المُضيِّ قُدمًا في سفر واحد – كرسالة

رومية مثلاً – فيفسرون آية واحدة – أو ربما جزءًا منها فقط – أسبوعيًا، ومع ذلك يظلون محتفظين بانتباه السامعين، لكن قلّة هم الذين يستطيعون ذلك. يمكننا بكل تأكيد الاستمرار في شرح رسالة رومية، لكن معظمنا سيحتاج إلى تغطية أكثر من آية في كل مرة، وإلى التوقف من آن لآخر عن هذا التسلسل؛ لدراسة موضوع آخر مختلف؛ فالتنوع هام وضروري في عملية التغذية.

2- لابد أن نهدف إلى تغطية الحقائق الأساسية للإيمان مرة سنويًا على الأقل:

سواء توافق ذلك مع الطائفة التي نتبعها أم لا، لابد من تغطية العقائد الخاصة بميلاد الرب يسوع، وموته، وقيامته، وصعوده، وهبته التي وعد بها (الروح القدس)؛ فبدون هذه التذكرة المنتظمة، سنُحرَم من تأثير حقيقة مجيء المسيح الثاني، والحقائق الكتابية الأخرى، على حياتنا وأفكارنا، فالتفكير مقدَّما خلال العام يمكّننا من تغطية الاحتياجات الضرورية.

3- نحتاج أن نكون صارمين مع أنفسنا من جهة موضوعاتنا المفضَّلة، وذلك من خلال حفاظنا على التوازن المطلوب في عظاتنا:

مع حرصي على أن ألاحظ وأصغي إلى رد فعل شعب الكنيسة، بعد تكرار مضمون العظة كل أسبوع، أدرك تمامًا كيف يمكننا بسهولة أن نخدع أنفسنا؛ لذلك يفضل الاستعانة بزوجة صالحة، أو شماس مخلص من الكنيسة، أو شيخ نثق به، للرجوع إليه في هذا الشأن.

4- لابد أن نركن إلى احتياجات شعبنا الروحية، والعاطفية، والذهنية:

كان الكورنثيون في احتياج إلى "اللبن" بينما أهل رومية كان بإمكانهم تناول "اللحم". أن تطعم لحمًا للأطفال، يعني أن يُصابوا بعُسر الهضم، وأن تعطي لبنا للناضجين، فسوف يبحثون عن طعامهم في مكان آخر؛ إذ أنهم لا يجدون احتياجاتهم عندما يستمعون إليك. كذلك لا ينبغي أن نخلط بين إدراك وفهم الحق الروحي، وبين الذكاء العقلي، فهناك أناس ذكاؤهم حاد لكنهم يحتاجون إلى "اللبن" في الأمور

الروحية، بينما يمكن لبعض البسطاء من الناس، بقيادة الروح القدس، أن يستمتعوا بالطعام القوي كاللحم.

5- لابد من الحرص على أن يكون الوعظ في إطار لاهوتي:

قد تبدو هذه النقطة مناقضة لما سبق وذكرناه في الفصل السابق، لكن ما أعنيه هنا أن اللاهوت ككل، يشبه صورة متكاملة من صور لعبة المكعبات " Jigsaw Puzzle"، وكل حق على حِدة يشبه إحدى قطع هذه الصورة. فليس لزامًا علينا أن ننبِّر عن الصورة كلها، عندما نثبِّت إحدى قطعها في مكانها، ولكن علينا – كهؤلاء المدرَّبين أن يروا الصورة كاملة – أن نكون على دراية بالمكان الملائم لتكامل القطع المختلفة، وإلا فستبدو الصورة التي نقدمها مهزوزة.

سلاسل تفسيرية مقترحة

دعوني أقترح بعض سلاسل التفسير. يمكنك – على سبيل المثال – اتخاذ جزءا من كلمة الله مستقلا بذاته، كالصلاة الربانية. باتخاذك كل فقرة منها في عظات متتابعة أسبوعيًّا، سوف تغطى الحقائق التالية:

أبوة الله : أبانا

سمو الله : الذي في السموات

قداسة الله : ليتقدس اسمك

سلطان الله : ليأت ملكوتك

إرادة الله : لتكن مشيئتك

والثلاث رسائل الأخيرة لابد وأن توجَّه بعبارة: "كما في السماء كذلك على الأرض". فلابد لعظمة الله وسلطانه ومشيئته، أن يسلَّم بها في الحياة المسيحية، هنا على الأرض، تمامًا مثلما تحكم – وبلا شك – كل السلوك في السماء. بعد أن نتعرَّف على البعد الرأسي للحياة، فإن الجزء الثاني من هذه السلسلة، سيعالج علاقة احتياجاتنا، بتلك التي للآخرين؛ أي أنه سيعالج الموضوعات التالية:

الاحتياجات المادية والطعام : خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

الاحتياج الروحي للغفران : واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا

الاحتياج الروحي للحماية : ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير

بذلك ستكون قد غطيت الوصيتين العظيمتين، الخاصتين بمحبة الله ومحبة قريبك، وتكون قد وجَّهت الشعب لكل عناصر الحياة المسيحية الصحيحة. أيضا سوف تغطِّي موضوعات أخرى مثل :

* منزلة الصلاة في الحياة المسيحية.
* الصلاة بمعنى الخضوع والعبادة، وليست فقط مجرد طلب الاحتياجات. *
الأهمية النسبية للأمور المادية والروحية في عصر تسيطر عليه المادة.

وعندما تصل إلى نهاية هذه الدراسة يكون شعبك قد عرف المزيد عن طبيعة الله، وعن منزلة الصلاة، والاستخدام الصحيح للممتلكات المادية، وسيكونون في وضع أفضل في فهمهم معنى الحياة، كما يجب أن يعيش مخلوق أمام خالقه.

موضوعات تفسيرية مقترحة :
1- *سفر من أسفار الكتاب المقدس :*
ربما تقرر دراسة سفر من الأسفار. سفر كيونان، على سبيل المثال، يُظهر المُرسَلَ المعارض، المنحاز لجنسه والمصرَّ على حجب محبة الله، الساعية في طلب الضالين. الأربعة أصحاحات تقسم قصته تقسيمًا مناسبًا، وعلى الرغم من ندرة وجود مُرسَلين معارضين بين شعب أي كنيسة، فما أكثر الهاربين من وجه الله! الرافضين محبته، والمتذمرين على معاملاته معهم، أو الناسين محبته للشعوب والأجناس الأخرى! فيونان شخصية مسايرة للعصر تمامًا.

2- *حياة شخصية كتابية :*
تعطي حياة أي شخصية كتابية، أمثلة حية على معاملات الله مع البشر. ورغم اختلاف البيئة وصغر حجم المعرفة وقتئذ، إلا أنهم اجتازوا الخوف والأمل،

ووضعوا الخطط ودبروا المكائد. أحبوا وأبغضوا، وخدعوا، ووصل بهم الحال إلى القتل أيضا، تمامًا كما يفعل البشر حتى يومنا هذا.

3- أصحاح من الكتاب المقدس:

على سبيل المثال يوحنا19 أو مرقس14، لتتبُّع الأيام والساعات الأخيرة للرب يسوع على الأرض. ففي مرقس14 تجد صورا عِدَّة للطبيعة البشرية في علاقتها مع الرب يسوع المسيح في المواقف التالية:-

- المحبة العظيمة للمرأة (أعداد 1- 9).
- خيانة يهوذا العظمى (10 – 21 ، 43 – 45).
- التخلي المخجل للتلاميذ (27 – 51).
- إنكار بطرس المحزن (27 – 31، 53، 54، 66 – 72).

4- موضوعات متنوعة مثل الصلاة، علامات مجيء المسيح ، أو عمل الروح القدس:

في أي من هذه، تحتاج إلى تقدير واقعي ومنتظم، مع تخطيط مستمر، وتفكير دقيق بخصوص الوقت الذي تحتاجه كل سلسلة. يخشى البعض من تقييد الروح القدس إن هم فعلوا ذلك، لكن لا أساس لهذه المخاوف في الواقع، فيمكن لروح الله أن يقودك مقدما لستة أشهر بنفس قيادته لك لست ساعات أو حتى ست دقائق. فإذا أرشدك إلى اختصار الموضوع ليوم واحد سوف تتمكن أن تفعل ذلك، فهو يعمل عادة من خلال ذهن الإنسان بأسلوب منظَّم جدًّا. يمكن للتخطيط أن يتم بروح الصلاة، تمامًا مثلما يحدث في حالة عظة تُعد في اللحظات الأخيرة.

أسئلة للدراسة

1- ضع عناوين لسلسلة من العظات من كل من يوحنا19 ، وحياة يعقوب، ورسالة تسالونيكي الأولى.
2- اكتب متى كانت آخر عظاتك (أو عظة سمعتها من أحدهم) عن الزواج (وليس في الاحتفال بالعرس)، والطرق المسيحية في إدارة الأعمال، والصلاة، ومجيء المسيح الثاني، ومعنى التوبة. ما هي الفقرات التي يمكنك شرحها عندما تُعلِّم عن هذه الحقائق؟
3- إذا أُعطيت الحرية أن تقرر سلسلة من العظات في كنيستك تمتد إلى ستة آحاد متتالية، وأردت أن توفّي الاحتياجات الروحية لشعب كنيستك، ماذا تختار لتعظ به؟ وأي أجزاء الكتاب المقدس ستستعين بها، وما هي العناوين الرئيسية التي ستضعها لهذه الموضوعات الستة؟

الفصل الخامس

النقاط الرئيسيّة فى الإعداد

سوف نتجه الآن إلى التفصيلات العملية في الإعداد لتفسير الكتاب المقدس، وأنا أعي تمامًا أن ما سوف أذكره منذ الآن فصاعدًا هو ما أرشدني الله له، وأعلم أن لي من الطباع والخلفية الثقافية، ما قد يختلف كلية عما لك، لكن الله يوصِّل الحق من خلال الشخصية؛ لذا فأنا أثق أن بعض ما علَّمني إياه سوف يكون ذا فائدة لك.

أهمية الإلتزام:

إن كنت قد وضعت خطَّة لعظاتك، فسوف تعفي نفسك – بلا شك – من البحث المضني عن موضوع، فقد سبق أن قررت ما سوف تعظ به هذا الأسبوع، وكل ما عليك عمله هو أن تلزم نفسك بالبحث في ذلك الجزء، حتى يخرج ما فيه من حقائق ثمينة. هذا هو الجزء الأصعب في معركة الإعداد للعظة. وحتى أوضح أهمية هذا الالتزام؛ دعني أشهد عن إختبار شخصي:

باعتباري خادم شاب، تعيّن عليَّ أن أعظ لاجتماع شباب في أحد أيام الآحاد، حيث تتراوح أعمار الحضور من سبع سنوات فما فوق. كانت القراءة الكتابية المقررة لذلك اليوم في خطة طائفتنا واردة في لوقا14: 25 – 33. كيف يتسنى لي أن أعظ لأطفال من فقرة كهذه، عن بغض الآباء والأمهات؟ ومع ذلك لم أسترح لفكرة عدم التعرض لهذا الجزء من النص، سواء في بداية الأسبوع أو بعد ذلك، حين فطنت إلى عدم ملاءمتها، لقد كانت رغبتي ملحَّة في التغيير.

وفي صباح الأحد، كانت هناك ممرضة مؤمنة بين جموع المصلّين، كانت قادت مؤخرًا إحدى المدمنات إلى المسيح. هذه الأخيرة كانت تعاني من نوبات اكتئاب نفسي؛ نتيجة لإدمانها الخمر، وقد عاودتها هذه النوبات مرارًا – وبصفة حادة في اليوم السابق للعظة – لأن أمها اتهمتها بأنها لا تكِن لها أية مشاعر محبة؛ ذلك لأنها توقفت عن اصطحابها للحانات. وفي حقيقة الأمر، لقد بدأت تحب أمها فعلاً – ولأول مرة في حياتها – لكنها لم تستطع احتمال الاتهام الظالم والمستمر من قبل أمها، فقررت أن ترجع عن إيمانها المسيحي إلى حياتها الأولى إرضاء لوالدتها. فما كان من الممرضة إلا أن قالت لها: "تعالي إلى الكنيسة هذه المرة فقط" فجاءت على مضض. وعندما تُلِيَت القراءة الكتابية، استدارت إلى الممرضة وقالت: "لو لم يعظ هذا الموضوع، لانتهى أمري". لقد استخدم روح الله هذا الإلتزام ليشبع احتياج محدَّد، وقد أصبحت هذه الشخصية خادمة مسيحية الآن.

في مناسبة أخرى في استراليا، طُلب مني أن أعظ عما ورد في أع19: 1- 21 مع إشارة خاصة إلى مناديل بولس التي استُخدمت لشفاء المرضى. لم أكن لأختار هذا الجزء، لكن بينما أنا أعد للعظة، بدأت في كشف النقاب عن استراتيجية رائعة لزرع الكنائس. لم أحبّذ استخدام المناديل للشفاء، وأشك في أن بولس نفسه لم يكن ليقترح هذه الوسيلة في المقام الأول، لكنها ملائمة ولازمة لمواجهة قوات الظلمة اليوم، حين تؤسَّس الكنائس، تمامًا كما كانت عندئذ. وما بدا وكأنه تكليف صعب وشاق، كانت نهايته وليمة غنية ومشبعة.

* كيف تُعد لعظة تفسيرية:

خطوات استيعاب النص الكتابي الذي أمامك:

أولاً: ادرس ذلك الجزء جيدًا وانغمس في محتوياته:

في هذه المرحلة سوف تخنق كتب التفاسير أفكارك وتقيِّد ذهنك، فتفكر تمامًا كالمفسِّر، وهذا من شأنه أن يُحدَّ روح الله. فحالما تصل الفقرة الكتابية إلى ذهنك، تأمل فيها في مناسبات مختلفة طوال الأسبوع، مثلا أثناء سيرك في الشارع أو انتظارك للأوتوبيس... الخ، ولكن ليس وأنت تعبر الطريق! فاسترجاع الأفكار لفترات قصيرة

مرارًا وتكرارًا غالبًا ما يؤدي إلى الوصول إلى أفكار قيِّمة وثمينة، أكثر مما ينتج عن جلسة واحدة مطوَّلة، وهذا يعني بالطبع أن تبدأ مبكرا في الفترة المتاحة للإعداد. فيمكن لواعظ متمرِّس أن يضع الخطوط العريضة لرسالته بمجرد توجيه الدعوة له، حتى لو كان الوقت أمامه ممتدًّا قبل إلقائها. فهو يقضي الدقائق المتاحة له في تمحيص الفقرة الكتابية في ذهنه. وبكثرة التفكير والتأمل في الجزء الكتابي يصبح جزءًا منك ويتكلم إلى قلبك، ثم يضع روح الله في قلبك تطبيقًا محدَّدًا مناسبًا لظروف السامعين. إذا درست فقرة كتابية ما في خلواتك الصباحية، فسوف تتمكن من استنباط سلسلة من الملاحظات التي ستكون متاحة بين يديك.

ثانيا: دوِّن تحليلاً للفقرة الكتابية:

أنا أذكر ذلك لأني وجدته أمرًا غاية في الأهمية. لا أفترض أنها الوسيلة الوحيدة لاتباعها، لكنها تساعدني شخصيًّا كثيرًا، للوصول المباشر لما تقصده هذه الفقرة من معان، وللوصول إلى ملاءمتها للسلوك اليومي.

ما أفعله بالضبط هو أني أكتب النص على الجهة اليمنى، لصفحة من الورق، وأترك الجهة اليسرى لكتابة أية تعليقات. وعند كتابتي للنص أفكر في العبارات والجمل المختلفة، وأحلّل تركيبها. وأنتبه جيدًا للكلمات والعبارات التي تعتمد على بعضها البعض، أو تلك التي تحِدّ المعنى أو تضخمه. وخلال كتابتي أقوم بفصل هذه الكلمات والعبارات؛ حتى أوضح هذه العلاقة جيدًا. أيضا أحدّد الكلمات والعبارات التي أود التعليق عليها فيما بعد، في الجهة اليسرى من صفحة الورق.

دعني أعطي مثالاً من فقرة مألوفة جدا في يوحنا3، فالعدد الأول يقول: "كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود".

يمكنني كتابة هذا العدد كما يلي:

- كان إنسان
- من الفريسيين
- اسمه نيقوديموس
- رئيس لليهود

"كان إنسان" هو الخبر الأساسي، وكل ما يليه يضيف إلى الصورة التي يُقدَّم بها هذا الرجل، وتخبرنا كل عبارة شيئًا عنه؛ لذا فأنا أكتب الواحدة تحت الأخرى تباعًا تاركًا نفس المسافة في كل مرة.
ويسجل الوحي في العدد الثاني ما يلي: "هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له: "يا معلم، نعلم أنك قد أتيت من الله معلمًا، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه".
وأقوم أنا بكتابة العدد السابق كما يلي:
- هذا جاء إلى يسوع
- ليلا
- وقال له
- يا معلم
- نحن نعلم انك قد أتيت من الله معلما.
- لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل، إن لم يكن الله معه.

وهكذا، فقد وضعت الأفعال "جاء" و"قال" في أقصى اليمين؛ ذلك لأنها أفعال رئيسية، لم تخبرني فقط عمن هو نيقوديموس، فالعدد الأول صرَّح بشخصيته، بل وعما فعل أيضا. وتعرّفني كلمة "ليلاً" عن وقت مجيئه للمسيح، وبالتالي تبيِّن شيئًا عن مشاعره ودوافعه.

لقد جزَّأت ما قاله نيقوديموس تجزيئا قليلا. اعترف في المقام الأول بمكانة المسيح عندما دعاه "معلِّم"، وأعلن اقتناعه به موضحًا سبب هذا الاقتناع. أما عبارة "أتيتَ من الله" فتُمثل إضافة إلى الاعتقاد في المسيح كمعلِّم، لكن بقية الجملة لا تتجزأ، وهي توضح سبب توصّل نيقوديموس إلى هذه النتيجة.

بعد كتابة الفقرة في الجهة اليمنى من الصفحة، أتجه إلى الجهة اليسرى – من خلال التفكير والصلاة والتأمل والدراسة – وأسجل الأمور التي برزت من كل عبارة أو جملة والتي أشعر بأهميتها. قد تضيف إلى معلوماتي، وقد تنطبق على ظروف

العصر، أو تترك انطباعًا روحيًّا، أو أجدها ملائمة – بأية وسيلة من الوسائل – فعلى سبيل المثال: مقابل "من الفريسيين" في العدد1، يمكنني تسجيل الآتي: قائد ديني، حافظ للناموس، شخص غيور. ومقابل "رئيس لليهود"، يمكنني تسجيل: شخص ذو حيثية ومقام رفيع.

وبالنسبة للعدد2 : مقابل "جاء إلى يسوع"، أكتب جاد ومتحمس للدرجة التي فيها يبحث عن يسوع. ومقابل "ليلا"، يمكنني تسجيل : هل كان خائفًا أم حريصا؟ وعلى أي الأحوال فقد جاء.

جدول رقم (2) تحليل ليوحنا3: 1

كان إنسان - من الفريسيين - اسمه نيقوديموس - رئيس لليهود	قائد ديني، حافظ للناموس، شخص غيور. (يظهر مؤخرًا في يو7: 50، 19: 39). شخص ذو حيثية ومقام رفيع.

ما أفعله هنا هو رسم صورة للفقرة الكتابية وأحداثها، وبهذه الوسيلة لا أهمل أية تفصيلات ذات أهمية، وأكون أمام تحدي أن أفكر في نقاط التفسير الصعبة، مثلا، لدراسة يوحنا3، عليَّ أن أحدِّد اعتقادي فيما كان قصد المسيح، عندما طفق يتكلم عن "الولادة من الماء والروح". وهذه ليست بالمهمة السهلة، فهي النقطة التي يتحتم فيها استخدام كتب التفسير.

سبق لي وذكرت التأمل كجزء من العملية كلها، وأنا أعتقد أن التأمل مفقود بين المؤمنين الإنجيليين. ولست أقصد بالتأمل، ذلك الذي يفرغ العقل من التفكير أو يوجه

التركيز نحو أمور كوجود الله أو محبته؛ وإنما أعني هذا النوع من التأمل الذي يتغذى على كلمات الكتاب المقدس، بحيث يتيح للذهن الفرصة ليسترجعها مرة ومرات بداخله، وللقلب أن يستوعب ويتشرَّب تعاليمها. يؤدي التأمل المصحوب بالصلاة إلى تركيز الذهن، في الرسالة المقصودة من الكلمة المقدسة، أيضا يرجع بنا إلى الفقرة الكتابية ويخلق الأسئلة عنها مثل: ما هو القصد من كتابة هذه الفقرة بهذه الطريقة؟ هل كنت سأعبِّر عن ذاتي بنفس الأسلوب في نفس تلك الظروف؟ ماذا كان شعوره عندما قال تلك الكلمات أو عندما سمعها؟ وتمامًا كما تجتر البقرة الحشيش الأخضر، المرة تلو الأخرى ثم يتحوّل ما تغذت عليه من حشائش إلى لبن أبيض مغذي، هكذا التأمل يعمِّق فهمنا لكلمة الله ويغنيه. ويمكن الحفاظ على الثمار التي تُجنَى من مثل ذلك التأمل بتدوينها في الجهة اليسرى من الصفحة، كما سبق.

ثالثًا: إفحص الفقرة من حيث علاقتها بالحياة المعاصرة:

ربما يكون ذلك مألوفًا لك. من جهة أخرى، باستماعي إلى العظات المختلفة، يمكنني القول بأن جانب التطبيق على الحياة اليومية، هو نقطة الضعف في معظمها. عندما تطالع تحليلك للفقرة بحثًا عن النقاط المرتبطة بالعصر، ستتمكن من التركيز عليها، أيضا ستزوِّد نفسك بالمادة اللازمة لعملية تطبيق الرسالة فيما بعد.

على سبيل المثال: لاحظتُ فيما ورد في يوحنا3: 1، أنه يمكن لقائد متديِّن ذو مكانة في المجتمع، أن يظل متعطشًا للوصول إلى الحقائق الروحية. لم يحدث لأحدنا أن ذهب إلى حد الاعتقاد بأننا لا نحتاج إلى المعونة. وفي حقيقة الأمر فقد فات نيقوديموس بعض الحقائق الجوهرية جدًّا، ولا يزال هذا الأمر يحدث في أيامنا، وربما يكون من الأمور التي يجب عليك الإشارة إليها عند الحديث عن تطبيق الرسالة.

رابعًا: افحص تركيب الفقرة :

سوف يأخذك التحليل – الذي سبق ذكره – بصفة مباشرة إلى قلب الفقرة، وسوف يغمرك بالحق الذي فيها، كما لو كنت تسير في إحدى الغابات مبهورًا بجمال الأشجار

فيها، تستنشق الهواء بعمق، ثم يأتي الوقت الذي تتطلع فيه إلى الغابة بصفة عامة، تنظر إلى تناسقها وتناغمها، وكيف يمكنك الدخول إليها والخروج منها، وما هي ممرَّاتها الرئيسية.

يُفضِّل البعض أن يُلمَّ بتركيب الفقرة في بداية الإعداد، لكن أيًّا كان النظام الذي تتبعه، فأنت تحتاج إلى الإحاطة ببناء الفقرة في مرحلة ما؛ فذلك سوف يعينك على التعرف على مسار المناقشة من نقطة إلى أخرى، ويوضح أمامك ما هو رئيسي وما هو ثانوي. وهذا سيجعلك تتجنب أيضا المبالغة في النقاط الثانوية أو الوصول إلى نتائج غير صحيحة، نتيجة الفهم غير المتوازن للفقرة ككل.

دعني أعطي مثالا على ذلك، تركيب الفقرة الواردة في يو3: 1 – 15، كما تبدو لي:

أ) الحاجة إلى الولادة الجديدة : (أعداد1 – 3)

لا يمكن للإنسان أن يرى ملكوت الله بدونها.

ب) طبيعة الولادة الجديدة : (أعداد 4 – 8)

- ليس تكرار الولادة الجسدية (عدد4).
- تشمل التطهير والحياة الجديدة (عدد5).
- ليست مثيرة للدهشة أو الحيرة؛ فالشيء بالشيء يذكر (عدد6).
- غير منظورة ولكنها حقيقية (عدد8).
- لا تُدرك بالحواس، لكنها عمل الروح القوي (عدد8).

ج) وسائل الولادة الجديدة :

- من خلال شخص الرب يسوع المسيح، الذي يستطيع وحده أن يعلنها (أعداد10 – 13).
- من خلال موت المسيح، ومع كونه صُلب، إلاَّ أنه المخلص والفادي الممجَّد (عدد14).
- من خلال التجاوب بالثقة(عدد15) .

ليس من الضروري أن يحكم هذا التحليل شكل رسالتك أو نقاطها. ربما يفعل ذلك في مناسبات عِدَّة، لكنه بالتأكيد سيساعدك على فهم الفقرة الكتابية.

خامسا: ابحث عن الرسالة الأساسية للفقرة الكتابية:

اسأل نفسك : "ما هو الموضوع الرئيسي الذي يُحرِّك أناس هذا العصر في هذه الكلمات، وما هي النقاط التي ينبغي التركيز عليها ليصل الإقناع بهذا الموضوع لقلوب الناس؟

لابد أن تبرز هذه النقاط من النص أو الفقرة الكتابية، وإلا فإنك تفرض آراءك وأفكارك، بدلا من تفسير كلمة الله. فإذا كنت فعلاً تفعل ذلك، فمهما بدا تعليمك حصيفا، فلن يكون مصحوبًا بمصداقية كلمة الله.

مما لاشك فيه أنك استمعت إلى أروع النصائح التي تحض على الكرازة مبنيَّة على ما جاء في 2كو4: 3: "ولكن إن كان إنجيلنا مكتومًا، فإنما هو مكتومٌ في الهالكين". غالبًا ما يُقال لنا بأننا ما لم نكرز، فإننا نكتم البشارة عن الهالكين، وإذا لم يؤمنوا فتلك تكون مسئوليتنا وخطأنا نحن. لكن في واقع الأمر، فإن بولس يخبرنا هنا أن البرقع يكمن داخل أذهان غير المؤمنين، وقد وضعه (إبليس) العدو فيهم . هذا البرقع ليس تحت سيطرتنا البتة، فالله وحده هو الذي يستطيع إزالته بكلمته المُحيية، التي تشرق نورا من ظلمة، كما فعل عند الخلق. لهذا فالآية المشار إليها لا تمثِّل حثًّا على الكرازة، لكنها تشرح مشكلة، ويتبعها تشجيع للمثابرة والجهاد. فالموضوع الرئيسي لما جاء في 2كو4: 1- 6، يتلخص في كلمة واحدة وردت في العدد الأول : "لا نفشل"، أما بقية الأعداد التابعة فهي تعطي بواعث لهذا التشجيع على المثابرة.

كيف تنظِّم ما أعددته ؟

1- *اجعل نقاطك واضحة وملائمة لشعب الكنيسة :*

ربما يبرز الجدل حول "علاقة علم الوجود بالخليقة" من خلال نص ما، لكن تأكد أنه سوف يصرف انتباه أكثر السامعين شغفًا بالعظة عنك، بنفس السرعة التي ينقطع فيها النور بسبب انقطاع التيار. لا يكفي أن تتساءل "ماذا يعني هذا النص؟"، لكن يجب

أن يكون السؤال كالآتي: "ماذا يعني هذا النص بالنسبة لهؤلاء السامعين؟" هذا من ناحية ملاءمة النقاط لشعب الكنيسة. الأمر الثاني، لابد لنقاطك أن تكون واضحة. يجب أن يتمكن سامعوك من الإلمام بمضمون هذه النقاط في نهاية رسالتك؛ فالمَحَكّ في العملية التعليمية هو ما إذا كان التلميذ قد عرف الدرس، وليس "أن يتمكن المدرِّس من تغطية الموضوع"، فالوضوح يساعد على التواصل الجيد.

2- قدم نقاطك الرئيسية بأسلوب منطقي.

لابد لنقاطك أن تكون متصلة ببعضها البعض. ليس بالضرورة أن يكون اتصالها مباشرًا في خط مستقيم، لكن مكمِّلين لبعضهم كأجزاء لصورة واحدة، مع ملاحظة أن هناك اختلافات جوهرية في الثقافات واللغات المختلفة: فالفكر الغربي غالبًا ما يميل إلى التحرك في خط مستقيم حتى يصل إلى الذروة أو القمة، بينما في الفكر الشرقي – واللغة الصينية بصفة خاصة – يتجهون إلى بناء كتل، حتى تكتمل الصورة، فكل حرف هجائي في اللغة الصينية يضيف شيئًا للمعنى العام للكلمة، فيمكن لحرف واحد أن ينقل صورة بأكملها، مصنوعة من عدة أجزاء، بينما يحتاج وصفها في جملة كاملة في اللغة الإنجليزية. فكلمة "سلام" توصف بحرف واحد في اللغة الصينية، بينما تحتاج اللغة الإنجليزية إلى فقرة لكي تحسن التعبير عنها.

يمكن للصينيين أن يعبِّروا عن معنى واحد، على الأقل، للسلام برسم سيدة تقف تحت سقف، فقد صوَّروا معنى واحدًا على الأقل للسلام باستخدام مجموعتين تعبيريتين حتى تومض رسالة مصورة في الحال. وبالمثل في مجال الوعظ؛ فالغرب يبني الأفكار في خط مستقيم حتى الوصول إلى الذروة، لكن يتجه الوعظ في الصين إلى بناء عدة صور، أو أفكار مجمَّعة؛ ليوصل بها الرسالة.

وما أودُّ التركيز عليه هنا هو: أن النقاط الرئيسية للرسالة، لابد وأن تكون متصلة – وبوضوح – بالنص وببعضها البعض، سواء قُدِّمت بالأسلوب الغربي أو الشرقي.

3- *نَبِّر بشدة على نقاطك الرئيسية:*

ولمزيد من الإيضاح: إذا كانت النقاط الرئيسية جديرة بالذكر، فسوف يمكن تذكُّرها بسهولة. يلجأ بعض الخدام مرارًا كثيرة إلى استخدام "الجناس اللفظي" حتى أثاروا ملل السامعين، ويقحم البعض الآخر عناوين لا تتوافق مع النقاط الرئيسية. ومن جهة أخرى، يستخدم البعض عناوين واضحة وتأتي بصورة متناسقة وطبيعية فلا تبدو مُقحَمة على الموضوع، ويسهل على الناس تذكرها. لنأخذ مثلاً (مزمور19) : فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام واضحة يمكن وضع العناوين التالية لها:-

1- الله يتكلم من خلال الكون (أعداد 1- 6).
2- الله يتكلم من خلال كلمته (أعداد 7- 10).
3- الله يتكلم إلى القلب (أعداد12 – 13).

أما عدد14 فهو يقدم صلاة ختامية في ضوء حديث الله.

كيف تبني على النقاط الرئيسية لرسالتك:

أنت تعرف الخطوط العريضة للرسالة، لكن يظل الكثير لكي تضيفه. الله يتكلم من خلال الكون، لكن ماذا عليك أن تقول بخصوص ذلك؟ تتحدث الأعداد 1 – 4 من مزمور19 عن إعلان الله لمجده ولأعماله من خلال الكون. يستمر هذا الإعلان ويتدفق طوال الأربع والعشرين ساعة في كل يوم (عدد2). إنه إعلان صامت، لكنه منطوق وشامل (أعداد3، 4).

اتَّبع الخطوات التالية لتبني على نقاطك الرئيسية:-

1- *اسأل نفسك إن كنت بحاجة إلى تأكيد كل هذه الحقائق لتصل إلى هدفك:*

يعمد القائمون على الإعلانات في التلفاز إلى توصيل رسالتهم في ثوان معدودة – لا تتعدى الثلاثين ثانية – وذلك باستقطاع كل ما هو غير هام. وأنت يمكنك تقديم خدمة متكاملة من خلال الأربعة أعداد الأولى نفسها من مزمور19. أما إذا كان عليك تغطية المزمور كله، فلابد لك من اختصار مادتك عن الجزء الأول من المزمور، وإلا فإنك

سوف تفقد كلا من إحساسك بالتتابع السليم وسامعيك؛ فغالبيتنا يميل إلى قول الكثير، لكن قدرة سامعينا للاستقبال عادة ما تكون أقل بكثير من رغبتنا في العطاء.

2- دوِّن أفكارك متوافقةً مع هدفك:

هناك ضرورة حتمية لكتابة أفكارك أثناء قيامك ببناء نقاطك لتملأ هيكل العظة، فالكتابة تثير الذهن عند الكثيرين.

3- قم ببناء أفكارك تصاعديًّ

ا حتى تصل إلى الذروة بحيث تؤكِّد على هدفك، عندئذ تهيَّأ لختام سريع للرسالة:

يحدث كثيرًا أن تفقد رسالة جيدة فاعليتها نتيجة ختام مُبهَم. سوف نتكلَّم بإمعان عن ختام الرسالة في فصل مستقل، لكن سنكتفي هنا بالإشارة إلى حاجتنا أن نتدرج حتى نصل إلى ذروة الرسالة، ثم نتوقف هناك. إذا قمت بعمل رسم بياني لخط سير العظة، فلابد أن مسارها يقارب الرسم البياني المرفق (شكل رقم1).

شكل رقم (1)

4- حدِّد الوقت الذي يلزمك لكل جزء والتزم به:

غالبًا ما يأخذ الجزء الثاني من العظة شرحًا أكثر من الجزء الأول والأخير. إذا أسهبت في الحديث في الجزء الأول من الرسالة فسوف يصاب السامعون بالملل ويتساءلون تُرى متى ستنتهي العظة؟! في هذه الحالة، بانتهائك من الجزء الثاني سيصل السامعون إلى حالة التشبع. لكن يمكن للجزء الأوسط أن ينال مزيدًا من الوقت، وهذا يتضح تمامًا في حالة مزمور19، إذ بامكانك أن تعطي وقتا أطول للإعلان عن الله من خلال كلمته، عما تعطيه للإعلان عن الله من خلال الخليقة.

تحتوي الأعداد 7 – 10 من المزمور19 على إيضاحات شتَّى عما تفعله كلمة الله المعلنة للإنسان الذي يتجاوب معها، وبمقارنة وضوح هذا الإعلان بذلك التصوير غير المباشر في الأعداد الأولى (1 – 4) ندرك حاجتنا إلى صرف المزيد من الوقت لشرح هذه الأعداد (7 – 10)!

5- اعتمد على الروح القدس أثناء تقديم العظة:

هناك أوقات يمسك فيها الروح القدس بزمام الأمور، وعندئذ ما عليك إلا أن تترك جانبًا كل ما أعددت؛ فلا تكن شديد التمسك بما لديك، للدرجة التي فيها لا تستطيع التجاوب مع قيادة الروح. ومن جهة أخرى، لا تجعل قيادة الروح القدس هو عذرك في عدم الإعداد أو الإعداد المتواضع للعظة.

6- قدِّم نقاطك في تتابع لتعطي أعمق الأثر:

يعتقد البعض أن الوعظ التفسيري يعني ببساطة شرح فقرة ما – الآية تلو الأخرى – والتعليق على كل منها، مما يضفي الروتينية والملل. وبخصوص مزمور19 فهو ملائم لأن تُبحر خلاله بنفس الترتيب الذي كتب به، حتى تصل إلى الذروة في تطبيق إعلان الله للقلب. وربما تتلاءم فقرات أخرى مع جعل ذروة العظة في الجزء الأوسط منها، وفي أي من الأحوال، يمكنك التخلي عن الترتيب المنطقي لنقاطك 1 ، 2 ، 3 –

وتغيِّره إلى 1 – 3 – 2، وهذا جائز تمامًا بشرط ألاّ تغيِّر الفكرة المركزية للفقرة، كما جاءت في الكتاب المقدَّس.

7- كن حذرا في استشهادك بنصوص كتابية أخرى:

نحن نعيش في عصر يتضاءل فيه عدد المؤمنين الملمِّين بالكتاب المقدس، لذلك فإذا كنت تعود بهم مرارًا إلى أجزاء مماثلة في الكتاب المقدس، فسيتيه الكثير منهم أو يخجلون، لهذا فأنا ألجأ إلى النصوص المتطابقة في أضيق الحدود، إذا كان الشاهد الكتابي ليس طويلاً، وأستطيع أن أقود السامعين بكل عناية. إن وعاظا كثيرين تجدهم ينتقلون بسرعة من جزء إلى آخر في الكتاب المقدس، غافلين أجزاءً حيوية في الفقرة التي أمامهم، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنما يدل على الخوف من نفاذ المادة المُعدَّة، وبالتالي يُظهر القصور في الإعداد العميق للعظة. من أجل ذلك فأنا أقترح التقليل من استخدام الشواهد الكتابية المقابلة.

أسئلة للدراسة

1- استمع لعظة أحدهم، وحاول استنتاج هدفه الرئيسي والنقاط الرئيسية لرسالته. كيف تتصل ببعضها البعض؟ إذا أمكنك ممارسة ذلك مع صديق، فقارن معه ما استنتجته، بما وضعه من نقاط رئيسية وهدف للرسالة.

أكتب الهدف الأساسي والنقاط الرئيسية لعظة عن الابن الضال (لو15: 11 -32).

2- ماذا كان هدف المسيح الأساسي في رسالته للتلاميذ في يو14: 12 – 31؟ تتبَّع أفكاره حين تنتقل من نقطة إلى أخرى، وكيف استطاع أن يصل إلى هدفه؟

3- إن كنت تُعد عظة عن مزمور19، وكانت النقطة الثانية في عظتك هي "الله يتكلم من خلال كلمته"، دوِّن الملاحظات التي يمكنك التحدث عنها تحت هذا العنوان، والمبنيَّة على ما جاء في أعداد7 – 10 من المزمور

الفصل السادس

تفسير القصص

تواصل شخصي

الكتاب المقدس مليء بالقصص الحقيقية، سواء بالنسبة للأحداث أو الزمان أو المكان أو التاريخ. إنها أعظم قصص في العالم، ذلك لأنها حق وليست ضربًا من الخيال.

لم يغطِّ الله إعلانه عن ذاته للإنسان، بسلسلة من الأقوال الفلسفية أو اللاهوتية، لكنه استخدم أساليب شخصية؛ فقد أعلن عن ذاته من خلال حياة البشر واختباراتهم معه. الدليل على ذلك أنه لم يترك لنا محاضرة عن حياة الإيمان، لكنه تعامل مع إبراهيم بأسلوب، أعلن به لنا عن مَثَلٍ حي لحياة الإيمان. لذلك فقصص الكتاب المقدس ليست مجرد روايات، لكنها أوصاف لتعاملات الله مع البشر (الرجال والنساء).

إن إعلانات الله – خاصة في المراحل الأولى – لم تكن بالكلمات فحسب، بل بالأعمال أيضا، أما الكلمات فقد استُخدمت لتفسير الأعمال. وعند هذه النقطة، الله يمدنا بالحق بطريقة افتراضية. يقبل بعض اللاهوتيين العصريين أعمال الله، لكنهم يرفضون الكلمة التي تفسِّر هذه الأعمال.

يحدث كثيرًا أننا نعجز عن فهم أحد أعمال الله، ما لم يكن مصحوبًا بكلمات تفسِّره، وهكذا تسير الكلمة مع العمل جنبًا إلى جنب في الكتاب المقدس؛ فعلى سبيل المثال: لم

يكن ممكنا فهم المعنى من وراء الذبائح، ما لم يخبرنا الله أنه: "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة للخطايا" (عب9: 22).

يسجِّل الوحي في مز103: 7 : "عرَّف موسى طرقه، وبني إسرائيل أفعاله". كانت لموسى العلاقة الوثيقة بالله، وبينما رأى كل الشعب ما عمله الله، إلا أن موسى كان له امتياز معرفة لماذا عمل الله ذلك، وماذا كان يعني به. فأعمال الله توضح طرقه، وطرق الله تفسر أعماله. وهذا أحد أسباب روعة الكتاب المقدس؛ فأعمال الكتاب المقدس تظهر على مسرح الحياة البشرية، وكلماته هي التفسير الإلهي في حياة البشر وعلاقتهم بالله. إن الإعلان الإلهي ليس منفصلاً عن الحياة في صورة مصطلحات أكاديمية، فبعض كلمات الوحي تبرز من أعمق الاختبارات لقلوب البشر.

ليس مجرد قصص جميلة

تكتسب قصص الكتاب المقدس أهميتها القصوى، من خلال حقيقة أن الله أعلن عن نفسه بالأعمال وبالكلمات أيضا؛ لذا فهي أكثر كثيرًا من مجرد قصص جميلة ذات أبعاد تاريخية، إنها تتضمن في داخلها إعلانا من الله نفسه عن شخصه وعن إرادته نحو البشر.

يسجل الوحي في رو15: 4: "لأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء". أثناء إعداد الكتاب المقدس، كان الله يهدف إلى غاية محدَّدة له. لقد تحقق – بروحه القدوس – أن ما سُجِّل فعَّال ونافع للصبر والتعزية، ليمكِّن المؤمنين من الثبات في كل الظروف، وحتى يشدِّد رجاءهم. وتأتي كلمة "تعزية" من نفس مصدر الكلمة التي استخدمها الرب يسوع وهو يصف الروح القدس بأنه "المعزِّي" في يو15: 26، 16: 7. وقد وُصِفَ الله في رو15: 5 بأنه "إله الصبر والتعزية"، وذلك يؤكد أن كلمات الكتاب المقدس ليست مجرَّد نصائح طيِّبة، لكنها كلمات تحمل قوة وسلطان الإله الحي وروحه القدوس.

الغرض من قصص الكتاب المقدس

الكتاب المقدس – إذن – هو عبارة عن سجل إلهي سُطِّرت فيه ظروف الإنسان، ومخاوفه، وآماله، وضعفاته وقلقه، من خلال أمثلة حية، واستجابات الله لمشكلات البشر حتى تصبح أمام عيوننا. عندما لخَّص بولس للكورنثيين قصة الخروج من مصر، عقَّب قائلا: "وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا، حتى لا نكون نحن مشتهين شرورًا كما اشتهى أولئك"، ثم أعلن قائلا: "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكُتبت لإنذارانا نحن، الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (1كو10: 6، 11). لم يُقصد بقصص الكتاب المقدس أن تكون مجرد روايات جميلة، بل كمرشد تربوي لنا في مدرسة الحياة؛ لذلك فقصص الكتاب المقدس ذات أهمية حيوية لتعليمنا، تمامًا مثل الفقرات العقائدية، إنها تسربل الحق في ثوب بشري (له لحم ودم) وتجعله أسهل علينا في فهمه.

وبنفس هذا الأسلوب في تقديم الحق، يصف يوحنا معجزات الرب يسوع على أنها ليست مجرد أعاجيب، لكن "كعلامات" تحمل معان أعمق كثيرًا مما تفعله الأفعال المدهشة المجردة.

لقد نقل القائمون على برامج التلفاز أسلوب الكتاب المقدس، فبعض البرامج واسعة الشهرة ما هي إلا مسلسلات تحكي عن حياة وأفعال أسرة من الأسر، أو مجموعة من الأشخاص. فبتجسيم بعض الأفكار في شخصيات، تنقل للمشاهدين الانفعالات، وردود الأفعال التي يودُّ لهم أن يختبروها. ربما يُقصد من ذلك تنبيه المشاهد إلى خطر المخدرات أو إلى التأثير السيِّء للتلوث. ربما يكون الهدف سياسيًّا، لكن لا يعمد إلى تحقيق الهدف بالأسلوب المباشر، فيلجأ إلى قصة تُعرض على الشاشة، توضح إيجابيات وسلبيات هذه الأمور في الحياة الإنسانية، وهكذا يندمج المشاهد بمشاعره مع الأحداث.

لقد نجح ناثان النبي في استخدام هذا الأسلوب مع داود (2صم12: 1 – 10). فبدلاً من أن يعظ داود عن شر الزنا، قصَّ له ناثان النبي قصة الغني، الذي سلَبَ نعجة جاره

الفقير ليُولِم لضيوفه. لقد عاش داود في هذه القصة بكل مشاعره، حتى أنه ثار وأراد قتل ذلك الرجل الغني. وهكذا حقق ناثان غرضه، وكان كل ما عليه هو أن يقول: "أنت هو الرجل"؛ حتى يفيق داود ويستشعر بذنبه.

في منطقة شرق آسيا، استخدمت الأوبرا الصينية ذات الأسلوب لقرون عديدة، ولازالت تجتذب الجموع حتى يومنا هذا. كم هو محزن أن نستخدم قصص الكتاب المقدس، هذا الاستخدام المحدود سواء في الشرق أو الغرب، خاصة قصص العهد القديم! فللكثيرين يعتبر العهد القديم كتاب مغلق، والكنيسة التي لا تُعلِّم العهد القديم، غالبًا ما يكون فكرها باهتًا عن عظمة الله وجلاله وقداسته، وتكون معرَّضة لسطحية فهمها للكرازة. إننا نحفُّ أنفسنا بالمخاطر حين نهمل قصص الكتاب المقدس.

كيفية استخدام قصص الكتاب المقدس في الوعظ التفسيري
كيف تتعامل مع قصة ما بغرض الوعظ؟

أولى الخطوات التي يجب عليك اتخاذها هي:
1- أدخِل نفسك ضمن أحداث القصة.
2- استخدم خيالك.
3- عش الأحداث الدرامية في ذهنك.
4- تخيَّل مشاعر كل شخصية، في الأوقات المختلفة التي وقعت فيها الأحداث.
5- اسأل نفسك لماذا كان فعل – أو رد فعل – كل شخصية على هذا النحو، وماذا كان شعورهم عندما فعلوا ذلك؟ لا يمكن لسامعيك أن يعيشوا القصة التي لم تعشها أنت. إحدى العظات الشهيرة التي استمعتُ إليها، كانت عن شفاء المفلوج الذي دلُّوه من السطح. لقد رأى الواعظ المعجزة من خلال عيون أربعة رجال مختلفين، رُسِموا في خياله على أنهم الأصدقاء الأربعة الذين حملوا المفلوج، واستنبط مشاعرهم من خلال الحقائق المدوَّنة في هذا الجزء من الكتاب المقدس، وكانت النتيجة أننا استطعنا كلنا أن نعايش بأفكارنا ومشاعرنا هؤلاء الأربعة. تذكَّر أنه بالرغم من

اختلاف ظروفنا المعيشية الخارجية، عن تلك التي كانت في أيام القصة الكتابية، إلا أنه مازال للناس نفس الاحتياجات، والمخاوف، والآمال، والطموحات والأحزان؛ فالظروف البشرية لا تتغير البتة، وكذلك الله.

اختبر قدراتك الإلقائية للقصص

من أفضل التدريبات التي يمكنك بواسطتها قياس قدراتك في الإلقاء القصصي، هي أن تقصها – أو تقرأها – للأطفال؛ فهم دائما شغوفون بالقصص ويتفاعلون معها بتلقائية، فإما أن تثير انتباهم أو مللهم، وبذلك يعطون تجاوبًا أمينًا. فعندما تدرِّب نفسك على أن تكون متجاوبًا وحساسًا لردود أفعال الأطفال، تكون قد اجتزت إعدادًا وتدريبًا رائعا كواعظ.

أسئلة استكشافية

بعدما تنغمس في أجواء قصة ما، إلى الحد الذي فيه يمكنك مشاهدة بريق أشعة الشمس على رمح جليات، أو يمكنك لمس هُدب ثوب الرب يسوع في وسط الزحام، عندئذ اسأل نفسك الأسئلة التالية:

1- ما هي الشخصيات الرئيسية التي تتضَمَّنها القصة؟

2- ما الذي يمكن أن أكتشفه عن اتجاهات كل شخصية، ودوافعها، وأفكارها وأفعالها؟

3- ما هو الهدف الرئيسي للقصة في هذه القرينة؟

4- ما هو السياق الذي تظهر فيه هذه القصة في الكتاب المقدس؟

وتظهر أهمية الرجوع إلى قرينة النص فيما جاء في متى22: 41 – 46. طرح يسوع سؤالاً للفريسيين عن كون المسيح ابن داود. لا يمكننا فهم هذه القصة فهمًا صحيحًا بدون الضوء الذي نسلّطه على الأسئلة التي وجَّهها الناموسيون والصدوقيون ليسوع ليجرِّبوه. وبالرجوع إلى القرينة نجد أن سؤال يسوع الذكي أبكم كل جدال، وأخرس كل معارضة وأعلن لاهوته بكل مجاهرة وشجاعة. لم يكن لدى أعدائه إجابة، وكان تأثير صمتهم الإجباري أقوى من ساعات طويلة من التعليم.

كيف تُعد قصة كتابية للتفسير

دعنا نستخدم ما جاء في مرقس 12: 41- 44، لأوضح طريقة إعداد قصة كتابية للتفسير.

بتحليل هذه الفقرة – كما سبق الشرح في الفصل السابق – يمكن التعرف على ما نحتاج إليه. وسوف يأخذ تحليل الفقرة شكل جدول رقم 3.

لديك الآن مادة غنية لتستخدمها، ويمكن النظر لقصة الأرملة الفقيرة وفلسيها بالطريقة الآتية:-

1- القرينة:

لقد عنَّف المسيح الفريسيين وأدانهم، بسبب أعمال تديُّنهم الخالية من الدوافع القلبية.

2- الشخصيات الرئيسية في القصة:

المسيح، الأغنياء، الأرملة الفقيرة.

جدول رقم 3: تحليل لما جاء في مرقس 12: 41- 44

عدد41:- وجلس يسوع.	فعل مدروس.
- تجاه الخزانة.	مكان خاص.
- ونظر كيف يلقي الجميع نحاسًا في الخزانة.	لاحظ وأبدى اهتمامًا.
- وكان أغنياء كثيرون.	ليس الأغلبية على صواب دائمًا.
- يلقون.	تفاخُر ومباهاة.
- كثيرًا.	مال كثير.
عدد42:- أرملة فقيرة	
- جاءت	أحطُّ الفئات.
- وألقت فلسين.	جاءت أيضا.
- قيمتهما ربع.	كمية ضئيلة.
	نقود قليلة القيمة.
عدد43: - فدعا تلاميذه	
- وقال لهم: الحق أقول لكم.	هناك درس للتعلُّم.
	تأكيد قوي.
- إن هذه الأرملة الفقيرة	لا تلفت إليها الأنظار.
- قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة.	قيمة العطاء.
	لا يزالون يحتفظون بالكثير.
عدد44:- لأن الجميع من فضلتهم ألقوا	لم يبق لها شيء.
- وأما هذه فمن إعوازها	أعطت الكل.

- ألقت كل ما عندها،	حتى الضروريات.
- كل معيشتها.	

3- ما الذي يمكن أن نتعلَّمه من كل شخصية؟

نتعلم من المسيح أن الله ينظر للأمور بمنظار يختلف تمامًا عن ذاك الذي للبشر. تعمَّد يسوع أن يجلس في مكان يمكِّنه من ملاحظة ما يحدث، وقد لاحظ ما لم يره أحد سواه. إنه يبني تقييمه لأعمال الناس على ما وراء هذه الأعمال. أراد أيضا لتلاميذه أن يتعلموا من الحدث؛ لذا ناداهم لكي يروا ويسمعوا تعقيبه على ما يحدث. وقد أوضح أهمية هذا الدرس عن طريق الكلمات التي بدأ بها.

ومن الأغنياء يمكننا ملاحظة شيوع الرغبة في استحسان الآخرين لما نعمله، وتقييم موقفنا بناءً على ذلك. وقد مكَّنت الفتحة الموجودة في صندوق الخزانة، من إحداث رنين العملات المعدنية التي تسقط داخلها، وبذلك يستطيع أي غني أن يخلق عن نفسه انطباعًا جيدا، بإلقاء المزيد من العملات داخل الصندوق.

أما من الأرملة فيمكننا أن نتعلَّم أن الله يرى ما يتجاهله الناس. فلا يقدَّر العطاء بما نقدمه، لكن بما نستبقيه لنا. حتما كان شعور تلك المرأة أنها لا تملك شيئًا تقدمه يستحق التقدير، لكنها في نهاية الأمر، قدمت كل ما لديها، فالدافع هنا لهو أهم كثيرًا من أي مال يُقَدَّم

والآن يليق بك أن تجيب عن السؤال الآتي:

"ما هو هدف القصة الرئيسي؟" عليك أن تفكِّر في ذلك مليًّا. من جهتي فقد وجدت هدفين لهذه القصة، ومن الأفضل أن تختار أحدهما في المرة الواحدة، عن أن تستخدمهما معًا. أحدهما يمكن أن يكون لتوضيح أن الله ينظر إلى القلب وليس للمظهر الخارجي.

أما الثاني فيمكن أن يكون لإظهار، أن ما يهم الله في عطايانا ليس ما نقدمه بالفعل، بل ما نبقيه لنفوسنا بعد العطاء. وعليك أنت اختيار الهدف الذي تتبعه وعليه تستخدم المادة التي تعدها لرسالتك.

النقاط الرئيسية لعظة من مرقس12: 41- 44

تمثل السطور التالية النقاط الرئيسية لعظة، مع الأخذ في الاعتبار استخدام أول الهدفين المذكورين سابقًا. وهي – أي السطور التالية – لا تكوّن عظة، لكنها تعرض الخطوط العريضة لها فقط، ويتضح أنها تحتاج لمجهود كثير، وإلى مقدمة ثم خاتمة لها:

1- عناية الرب واهتمامه:

لاحظ يسوع الأرملة الفقيرة:

لا يوجد من هو على درجة من الفقر أو الضعف أو الكبر للدرجة التي يفقد معها الاهتمام والعناية من الرب.

هؤلاء الذين يتجاهلهم الناس هم مثار عناية الرب واهتمامه.

لقد تعمَّد الرب يسوع أن يجلس هناك، ليس فقط ليرى كم يعطي الناس، بل ليرقب دوافعهم لِما يعطونه.

قليلون هم الذين لاحظوا وجود يسوع.

لا يزال الرب موجودا اليوم، يهتم ويعتني.

2- حكم الناس:

لاحظ الجميع الأغنياء وعطاياهم أيضا.

بإلقائهم العملات المعدنية من خلال الفتحة المعدنية للخزانة؛ استطاعوا أن يخلقوا انطباعًا جيدا عند الجموع. كان هناك جمع غفير من الأغنياء يفعلون ذلك.

مما لا شك فيه أنهم ألقوا الكثير من المال.

بالكاد لاحظ القلة من الجمع الأرملة المغمورة.

يحكم الناس على المظهر الخارجي.

3- حكم الله:
لاحظ الرب شخصا واحدًا.
قدَّر عطيتها بأنها الأثمن:
- لأن الجميع أعطوا من فضلتهم،
- ولأنها أعطت من إعوازها،
- ولأنها أعطت كل معيشتها، حتى لم يبق معها شيء.
فالله يقدِّر العطية بحسب الدافع لها وليس فقط بقيمتها.
ينظر الله إلى القلب، أما الناس فينظرون إلى المظهر الخارجي.

خاتمة يمكن استنتاجها:
- كل شخص، وكل فعل له أهميته في عيني الله.
- ينظر الله إلى القلب والدوافع، وهذا ما يجب أن يحكم عطايانا، فيكون تجاوبنا نابعًا من محبتنا له.
- علينا أن نتحدَّر من أن نحكم بميزان الناس، فيفوتنا ما هو هام وحيوي.
- عندما نقدم لله، علينا أن نقيس ما تبقَّى لنا، وليس ما أعطينا.

يمكنك التكلم بإسهاب في أجزاء هذه الرسالة بالطبع، لكن عليك أن تضع في الاعتبار الوقت الذي تعطيه لكل جزء. لا تصرف الوقت الكثير في الأجزاء الأولى، بحيث لا تجد ما يكفي من الوقت لتصل إلى النقطة الرئيسية التي تقصد أن تقدمها.

معظم القصص يمكن التعامل معها على هذا المنوال، سواء تلك التي في العهد القديم أو الجديد. وعن طريق تدوين أفكارك وتأملاتك، يمكنك توضيحهم وتثبيتهم، بل ستقفز إلى ذهنك المزيد من الأفكار الجديدة. والقصص هي من أسهل الأجزاء الكتابية التي تجذب انتباه السامعين، فالناس غالبًا ما ينجذبون إلى الناس ويتعايشون معهم؛ لذا فعلينا الاستفادة بأقصى ما يمكننا بقصص الناس، التي أعطانا الله إياها في الكتاب المقدس.

أسئلة للدراسة

1- اكتب عن مرقس10: 46 – 52 بحسب الاقتراحات المذكورة في هذا الفصل، ثم اكتب عمود الجهة اليمنى (كما في جدول 3)، ومن كل هذا استنتج العناوين الرئيسية لعظتك.
2- اقرأ جزءًا من كتاب قصصي إلى صديق أو سجِّله في مسجِّل، واطلب من صديقك أن يعلق على الآتي – أو اسأل نفسك هذه الأسئلة:
   - هل أعطيتُ حياةً لهذه القصة عندما قرأتها؟
   - هل تباينت نغمات صوتي أم كانت رتيبةً ومملَّة؟
   - كيف أجعل صوتي أكثر إثارة؟
3- اسرد قصة زكا (لو19: 1 – 10) كما لو كانت قد حدثت في مدينتك منذ أسبوع مضى، مستخدمًا مرادفات حديثة.
4- صف – بالتدقيق – كيف كان شعور كل من بطرس ويوحنا عندما ذهبا إلى القبر ولم يجدا جسد يسوع.

الفصل السابع

تفسير المزامير

من أوجه القصور المؤسفة في الكنيسة المعاصرة، هو عجزنا عن الإفادة الكافية من سفر المزامير. هل تذكر آخر العظات التي سمعتها تفسَّر من هذا السفر؟ وهل تذكر آخر مرة وعظت فيها عن أحد المزامير؟ أعتقد أنه من الصعب أن تذكر ذلك، ومع ذلك، فالمزامير هي كنز للتأملات والعبادة والتجارب الإنسانية التي لا يضاهيها في ذلك كنز آخر في العالم.

وُصِفت المزامير بأنها كتاب الترانيم لإسرائيل، إذ أنها كُتبت لكي تُرَنَّم. ومثل كل الترانيم الجيدة، فهي تعبِّر عن اختبارات خاصة وُضعت في قالب عام، حتى أننا وإن كنا لا نواجه هذا الاختبار الخاص لكاتب المزمور، لكننا نستطيع أن نشاركه أحاسيسه، وأن نتفاعل معه.

ربما أستطيع إيضاح ما أعنيه إذا رجعت لكلمات الترنيمة التي تبدأ هكذا: "يا للمحبة التي لا يمكن أن تخذلني....."، فقد ظهرت هذه الترنيمة إثر اختبار شخصي أليم، لشخص يدعى "جورج ماثيسون"، الذي خطب إحدى الفتيات، وقبل زواجهما أصيب بالعمى، فما كان من خطيبته إلا أن فسخت الخطبة، مما أصاب ماثيسون بالإحباط الشديد، لكنه وجد عزاءه في محبة الرب، الذي لم يكن ليخذله البتة، وفي إعادة تكريس ذاته للرب من جديد.

الكثيرون ممن يرنمون هذه الترنيمة اليوم، لا يعرفون شيئا عن تجربة ماثيسون، لكنهم يستطيعون أن يعايشوه، فالكل يواجه إحباطات أخرى متباينة، كالفشل في الحصول على وظيفة، أو أن يخذلهم صديق كانوا يعوِّلون عليه كثيرًا.....إلخ، فالترنيمة الجيدة لها القوة المؤثرة التي تتكلم عبر مشكلة خاصة، إلى مشاكل أخرى كثيرة.

يندر أن توجد عاطفة إنسانية أو خبرة بشرية غير مُعبَّر عنها في المزامير. تتجه نُظمنا في التعليم اللاهوتي إلى التركيز على التدريب الأكاديمي للذهن، إلا أن معظم العامة تميل إلى التعامل على مستوى المشاعر؛ ولذلك فهناك سبب قوي لقدرتهم على التجاوب مع أسلوب التعبير عن المشاعر الموجود في المزامير. وبالرغم من إمكانية تأثرهم بالمشاعر أكثر من أي شيء آخر، فهذا لا يعني أنهم يجدون سهولة في فهم مشاعرهم أو التعبير عنها. ولذلك فعندما يجدون من يعبِّر عن مشاعرهم، يكون من السهولة بمكان التفاعل معه. فالحزن، والمرارة، والخوف، والإحباط، والأمل، والغضب، وتبرئة الذات، والفرح، كلها مشاعر يمكنك أن تجدها تتكرر في المزامير. فتجد الندم العميق وانسحاق القلب اللذين في مزمور51 يقابلهما التسبيح بالبهجة في مز150. والإحباط المذكور في مزمور42 يقابله الثقة التي تملأ مزمور107. وهكذا يعتبر هذا السفر منجم غني لاستخراج عظات شتَّى، تمكِّن الناس من فهم مشاعرهم والتعبير عنها، وتمكِّن الخادم من التعايش معهم في هذه المشاعر، إذ أنه هو أيضا إنسان.

صيغة شعرية

في تداولنا للمزامير، لابد أن ندرك أنها عبارة عن ترانيم وأشعار، من ثم، ينبغي أن نفهم شيئا عن الشعر العبري؛ فكل شعب له صيغ شعرية معيَّنة، لا تُفهم من قِبَل مَن هم مِن ثقافات مغايرة، وهكذا أيضا الشعر العبري. الشعر الغربي، مثلا، كان يُبني – وإلى وقت قريب – على الأوزان الشعرية والقافية، بعكس الشعر العبري الذي يُبنَى على "التوازي"، بمعنى أن الفكرة يُعبَّر عنها في سطر، ثم تعاد نفس الفكرة في السطر التالي، لكن باستخدام كلمات مختلفة، أو تُقابَل الفكرة بأخرى مضادة، أو يضاف إليها

في اتجاه آخر، أو تُواصَل نفس الفكرة حتى تكتمل. ويمكن للسطر الثاني أن يرتبط بالأول، إذ أن النتيجة مرتبطة بالمسبب.
دعني أوضح ذلك: السطر الأول من آية 6 في مزمور61 يقول: "إلى أيام الملك تضيف أيامًا"، ثم يكرر نفس الفكرة في السطر الثاني فيكتب: "سنينه كدور فدور". فالفكرة الرئيسية واحدة، تم التعبير عنها بكلمات مختلفة.
كذلك في مزمور110: 5 يستكمل فكرة السطر الأول في الثاني:
"الرب عن يمينك".
"يحطم في يوم رجزه ملوكا".
وفي ذات المزمور، نجد أن السطر الثاني من عدد7 هو نتيجة ما تم في السطر الأول، هكذا:
"من النهر يشرب في الطريق"،
"لذلك يرفع الرأس".
إن فهم أسلوب الشعر العبري يساعد في فهم رسالة المزمور.

الدليل إلى تفسير المزامير
1- حاول – بقدر الإمكان – اكتشاف الاختبار الذي أدى إلى كتابة المزمور.
لو عرفت ما كان يواجه كاتب المزمور؛ لكانت لك فكرة أوضح عما كان يقصده بكلماته. مثال ذلك معاني كلمات مزمور51 التي ستبرز أمامك بأكثر جلاء عندما تدرك أنها عبارة عن اعترافات داود عن خطية الزنا مع بثشبع، وقتله لزوجها أوريَّا الحثي. هذا المزمور ليس له مثيل في التعبير عن معنى التوبة الحقيقية والاعتراف. ليس عليك أن تحدِّد تطبيقه على الخطايا الجنسية فقط، ذلك لأن التوبة في الأساس واحدة في كل الحالات، ويحتاج الجميع إلى توبة حقيقية إن كانوا راغبين في التنعم بالحياة المسيحية.

ويمثِّل مزمور3 بوضوح، الإنسان المحاط بأعدائه والمجرَّب بأن ييأس ويخاف. ويُظهر عنوان هذا المزمور أنه كتب في ذلك الحين الذي هجر فيه داود المملكة هاربًا من وجه ابنه المتمرِّد أبشالوم. وبمعرفة هذه الظروف، يمكن التجاوب أكثر مع مشاعره

التي عبَّر عنها من خلال المزمور. يمكنك تطبيق رسالة هذا المزمور على أيٍّ من الظروف المعاصرة، حيث تكثر الضيقات وتبدو أنها همٌّ لا يُقهر، حتى يهرب النوم من الأجفان تحت ثقلها.

ولا يمكن إيعاز كل المزامير إلى أحداث معيَّنة، فكثير منها تعبِّر عن اختبارات شعب إسرائيل كأمة، ويمكن تطبيقها على مجموعات من الناس، وليس على أفراد، ولكن عندما تتاح الخلفية التاريخية لأي من المزامير، أو تتضح ظروف كتابته من كلماته، يمكن الحصول على غِنًى أعمق.

2- حاول اكتشاف المقاطع الشعرية التي يتكوّن منها المزمور

لن يكون هذا باليسير دائما، ذلك لأن بعض المزامير لم تُكتب أساسًا بهذا الأسلوب، لكن حيثما يمكنك تحديد هذه الأقسام، ستتاح لك الفرصة الأكبر للوصول إلى تفسير أكثر وضوحًا . تقسَّم المزامير في بعض الكتب المقدسة بهذا التقسيم، لكن المقاطع الشعرية في الشعر العبري لا تطابق تقسيم الكتاب المقدس إلى آيات، إذ تُضم مجموعة من الأعداد بعضها مع بعض.

ينقسم مزمور1 – بصورة واضحة – إلى مقطعين شعريين، الأول يبيِّن صورة التقي البار والآخر صورة الشرير. والمقطعان موضوعان في تضاد مباشر مع بعضهما البعض، وهما بذلك يقدمان تمييزا واضحًا، يمكن الاستعانة به في بناء نقاط أي من عظاتك.

3- ادرس المشكلة التي واجهت كاتب المزمور، وحاول قدر استطاعتك أن تكتشف كيفية تعامله معها وتمكُّنه منها

مثلا، كيف حصل على معونة من الله؟ وماذا كانت طلبته؟ وما هي الحقائق الإلهية التي استند عليها؟ وماذا كانت النتيجة لما قام به؟

كانت المشكلة التي واجهت داود في مزمور3 هي الأعداء الكثيرون، الذين ثاروا ضده، وادعوا أنه بلا معين، حتى من الله ذاته. لقد تغلَّب على المشكلة في قلبه، حيث تصوَّر

أن الله ترسه، ومجده، والمدافع عنه. لقد حوَّل كل هذه إلى صلاة، واثقًا في استجابة الله، وكانت النتيجة العملية والأكيدة لذلك هي النوم العميق الهادىء الذي كان – بكل يقين – في حاجة ماسة إليه، والقدرة على مواجهة ربوات الأعداء، بمعزل عن التأثير المكبِّل للخوف. الواقع – كما نعلم – أنه استرد مملكته في النهاية. والنقطة الهامة في أي رسالة هي: الآثار العملية التي تُجنَى نتيجة التأمل في قوة الله التي تحفظنا، وقوة الصلاة التي تسكِّن أذهاننا، مهما بلغت مشكلاتنا في الحياة. فالصلاة في هذا السياق، هي سر التمتع بالنوم الهادىء والعميق، في خضم القلق والضيق، وهي سر القلب المفعم بالسلام، وسط المقاومة العنيفة.

4-اربط بين مشكلة كاتب المزمور والمشكلات المعاصرة لسامعيك

لن تجد بين شعب كنيستك ملكًا اغتُصِبَت مملكته بخدعة سياسية، لكن بالتأكيد هناك عددا غير قليل منهم تحيطه الكثير من المصاعب، التي قد تجعلهم يشعرون أنه حتى الله نفسه، لا يمكن أن يخرجهم منها. ربما بعضهم كثيرًا ما يجافيه النوم الهادىء؛ فرسالة من هذا المزمور يمكن أن تحدث تغييرًا كبيرًا في حياتهم عندما يوصِّل الروح القدس الكلمة لقلوبهم.

هناك أوقات سوف تكتشف فيها أن كاتب المزمور نفسه لم يهتد إلى إجابة لحاجته، فربما يترك المزمور أسئلة كثيرة بلا إجابة، وهذا في حد ذاته أمر وارد وحقيقي في الحياة. لم يَعِدنا الرب بأننا سنجد دائمًا إجابات سريعة وسهلة لمشكلاتنا، كما لم يَعِدنا بعدم مواجهة أسئلة معلَّقة لا نجد لها إجابة. عندما تكون أمينا، وتشارك شعب كنيستك أن هذه هي الحقيقة، بل هي اختبار يشمل كل أولاد الله عبر كل العصور؛ سوف تشجِّعهم أن يعرفوا أنهم ليسوا متفرِّدين في تجاربهم واختباراتهم الأليمة.

تطبيق عملي

رجوعًا إلى مبدأ تحليل النص، فقد وجدته أمرًا نافعًا أن أكتب تحليلاً للمزمور (انظر جدول4)، تاركًا العمود الأيسر من الجدول لكتابة ملاحظاتي، وما تعلَّمته من

النص، فقط بعد اكتمال كتابة العمود الأيمن. وكنوع من التدريب، احجب العمود الأيسر في جدول4 بقطعة من الورق ودوّن عليها ما تعلمته في مقابل المكتوب في العمود الأيمن، قبل أن تقارن أفكارك مع أفكاري. وقد اتخذت مزمور95 مثالاً، لأنه متعلّق بالعبادة، لذا فهو مرتبط تمامًا بموضوعنا.

توضيح

بالنظر إلى ما قمت بكتابته، وجدت أن المزمور ينقسم إلى ثلاثة مقاطع شعرية، يبدأ أحدها في منتصف أحد الأعداد حسب تقسيم الكتاب المقدس.

المقطع الأول: الأعداد 1- 5 وهو دعوة لعبادة الله بالتسبيح والفرح، والهتاف، والترنيم، والشكر، لأنه – بأبسط تعبير – هو الله الذي صنع العالم ويحفظ استمراره. إنها دعوة عامة للجميع ليعبدوا خالقهم، وهذه العبادة قُصِد بها أن تكون فرصة مبهجة.

أما المقطع الثاني: (أعداد 6 -7ب) فهو دعوة – أهدأ من الأولى –إلى العبادة بتواضع، والسجود أمام الرب. الدعوة هنا شخصية ومحدَّدة، فقط لهؤلاء الذين يمكنهم إعلان أن الرب هو إلههم، وأنهم شعبه، وهو راعيهم. فالمؤمن الحقيقي فقط – الذي يعرف راعي الخراف الأعظم – هو الذي يمكنه أن يشترك في مثل هذه العبادة.

أما باقي المزمور فهو جزء مهيب، يتعلّق بسماع الله وهو يكلّم الجموع، إذ يحذِّرهم بضرورة إصغائهم الجيد وعدم قساوة القلب، وقد وضع نصب أعينهم، الدرس القاسي لبني إسرائيل في البرية. فتمتُّعهم ببركات الله المرتقَبَة؛ مرهون بطاعتهم وتجاوبهم مع كلمة الله.

جدول 4 تحليل لمزمور 95

عدد(1) هلم نرنم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا.	ترنيم بفرح موجَّه للرب، تسبيح بصوت مرتفع موجَّه إلى الرجاء الممكَّن
عدد(2) لنتقدم أمامه بحمد ونهتف له بترنيمات.	العبادة لله والشكر من أجل هباته.
عدد(3) لأن الرب إله عظيم، ملك كبير على كل الآلهة	سبب التسبيح هو عظمة الله وسلطانه.
عدد(4) الذي بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له.	هو الخالق. له الجبال وأعماق الأرض،
عدد(5) الذي له البحر وهو صنعه، ويداه سبكتا اليابسة.	البحار العظيمة، واليابسة. الكل قد صنع
عدد(6) هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.	اتضاع لنقدم ما يليق بالله من إجلال للسرمدي، للخالق.
عدد(7) لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده.	علاقة شخصية بالله. سبب العبادة. رعاية شخصية

اليوم إن سمعتم صوته.	أهم الأيام نحن نعبد، والله يتكلم.

تابع جدول 4

عدد(8) فلا تقسُّوا قلوبكم . كما في مريبة، مثل يوم مسة في البرية.	تحذير للسامعين. درس من خر17: 1- 7 تعلموا من الماضي.
عدد(9) حيث جرَّبني آباؤكم، اختبروني أبصروا أيضا فِعلي.	رفض الاستماع والطاعة، بالرغم من كل الدلائل.
عدد(10) أربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت: "هم شعب ضال قلبهم، وهم لم يعرفوا سُبلي".	رد فعل الله رفض الاصغاء معناه الضلال.
عدد(11) فأقسمت في غضبي "لا يدخلون راحتي."	غضب الله. عقاب الإنسان.

لقد وجدت في هذا المزمور نموذجًا للعبادة يتضمَّن الترنيم، والشكر، والتسبيح، والصلاة، والسجود، والعبادة الصامتة، وأخيرًا رسالة كلمة الله. والأمر الجدير بالملاحظة هنا، أن الإصغاء لكلمة الله ليس جزءًا إضافيًّا لباقي الخدمة، ولا يشغل معظم الوقت، لكنه جزء هام وحيوي في وجبة العبادة المتوازنة، الذي فيه يتكلم الله إلينا، كما نتكلم نحن أيضا معه. والحفاظ على هذا التوازن في العبادة ليس سهلاً على

الإطلاق، فبعض الكنائس تقيِّد الخادم في دقائق عشر، كما لو أن العظة أمر مزعج يصعب احتماله، بينما يتوقع آخرون من الواعظ أن يبدأ رسالته عقب ترنيمة ثم صلاة سريعة، كما لو أن الله لا يستحق منا أفضل ذبائح التسبيح والعبادة!!

على أية حال فبيت القصيد هنا، هو أن عرضك للمزمور وتبسيطك له على هذا النحو؛ سوف يساعدك على الوصول إلى مضمونه، وإلى الدروس المستفادة منه. سوف تلاحظ أني تعمَّدت كتابة كلمة "هلم" – أو ما يعادلها – بعضها تحت بعض حتى تسهل عملية المقارنة. كما أني تعمَّدت إظهار كلمة "لأن" – و"الفاء السببيَّة" – بوضع خط تحتها؛ لأنها كلمة ربط هامة في الكتاب المقدس، فتعطينا الأسباب التي من أجلها تتتابع الأحداث. والرجوع إلى خر17 يفتح مجالاً آخر لتوضيح مخاطر عصيان كلمة الله. في كل الأحوال عليك وحدك تحديد مقدار التفاصيل التي تريدها من هذا النص، والوقت الذي سوف تستغرقه في ذلك. مرة أخرى أكرر، سوف يكون لديك القدر الوفير من المادة التي تكفي لأكثر من عظة واحدة من المزمور، وسوف تواجه المهمة الصعبة التي فيها تقرر ما الذي تتركه من المادة المتاحة لك، حتى تتمكَّن من التعبير عن الموضوع الرئيسي للمزمور – أو جزء منه – الذي ستستخدمه في عظتك.

تتطرَّق المزامير إلى مركز العبادة في كلمة الله، فإذا تمكنت من قيادة شعبك إلى هذه التسابيح، ومنحتهم لمحة من معانيها حتى يتجاوبوا مع أفراح كُتَّاب هذه المزامير، ومعاناتهم، وآمالهم، ومخاوفهم، فإنك تكون قد أسديت معروفًا جزيلاً لشعب الله في أيامنا هذه.

أسئلة للدراسة

1) حلّل مزمور 67 بحسب النموذج المقترح، وضع الخطوط العريضة لعظة من هذا المزمور.
2) ما هي – في رأيك – ظروف كتابة مزامير 53، 73، 115 ؟
3) في مزمور 121: ما هي المرادفات العصرية في اختباراتنا "للجبال" في العدد الأول و"الظل" في العدد5، والأفكار المذكورة في عدد6 و"خروجك ودخولك" في عدد8؟

الفصل الثامن

في تفسير الرسائل

مادة صعبة التفسير

تمثّل رسائل العهد الجديد الجزء الأكثر إشباعًا في الكتاب المقدس للمفسِّر، إلا أنها صعبة في ذات الوقت. وتكمن المشكلة فيما يمكن أن يُسقَط من الحسبان منها وليس فيما يجب أن يُقال، بحيث تعطي النص، الغني في مادته، حق قدره. فرجل مثل بولس كان يملك عقلاً يذخر بالأفكار والآراء ذات الأهداف المجيدة حتى أن بطرس نفسه اعترف في تصريح هام عن رسائل بولس أن "... فيها أشياء عسرة الفهم..." (2بط3: 16). ومهمتنا هنا ليس فقط أن نفهم بقدر المستطاع، ولكن أن نوصلها لشعبنا في عبارات يمكنهم استيعابها، وتكون مواكبة لحياتهم اليومية. هذه الرسائل عبارة عن وثائق مقترنة بالحجة. إنها مليئة بالحقائق المفصَّلة وصور دقيقة للمعاني، فكل كلمة تحمل أهمية خاصة؛ لذا فتفسيرها يستلزم العمل الشاق من قبل الواعظ، قبل أن يقوم بتجميع أجزاء من رسالته معًا.

وقد وجدت في المباديء التالية معونة عظيمة لاستخدام الرسائل في الوعظ.

خطوات إرشادية لتفسير الرسائل

1-دوِّن ملاحظاتك على الأفعال الرئيسية وزمن هذه الأفعال:

فهذه الأفعال هي التي تحكم الجملة بأكملها. وفي هذا الصدد، المعرفة بالأصل اليوناني للأفعال يمثل أهمية قصوى؛ فاليونانية لغة أكثر دقة من الإنجليزية، ولها إمكانيات أكبر لتصوير أدق المعاني. فإن كنت لم تتمكن من دراسة اللغة اليونانية، فيمكنك الاستعانة بتفسير مناسب يوضِّح الاختلافات الهامة للمعاني. وحتى لو لم تستطع ذلك لافتقارك لمثل هذه الكتب التفسيرية، فلا تصرف النظر عن الرسائل، فلا يزال أمامك كنز

من الحقائق الروحية بين يديك، فقط عليك اكتشاف الأفعال المستخدمة، وكمثال لأهمية صور الأفعال، انظر ما جاء في أفسس5: 18 "امتلئوا بالروح". فالأمر هنا ليس اختبار المرة الواحدة وإلى الأبد، لكنه يعني الخضوع المستمر لقيادة وسيطرة الروح القدس. ولكونه جاء في صيغة الأمر؛ لذا فهو مسئوليتنا نحن، وليس علينا انتظار أن يفعله الله لنا.

2- لاحظ الإيجابيات والسلبيات في النص:

أحيانا كثيرة لا يستخدم الكتاب المقدس الوصف الإيجابي للأمور، فنحن كثيرًا ما نُخبَر بما هو ليس صوابًا أو ما هو ليس كذلك – بدلا من وصفه إيجابًا – وما لا يجب علينا فعله، وهذا يعيننا على الفهم بصورة أفضل؛ فلا تقلق من صيغة السلب. وكمثال لذلك ما جاء في 1كو13: 4- 6 "المحبة تتأنى وترفق" – صيغة إيجابية للغاية، لكنه يستطرد قائلا: "المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تنتفخ، ولا تقبِّح، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق". فالتأكيد على إظهار السلبيات يوجِّه الانتباه إلى الإيجابيات، تمامًا كما في التصوير الفوتوغرافي حيث تكون الصورة السالبة الجيدة "negative" ضرورية لإخراج صورة نهائية واضحة. وغالبًا ما تضع الرسائل الإيجابيات والسلبيات جنبًا إلى جنب، ولابد من وضع ذلك في اعتبارنا.

سمة أخرى من السمات الهامة في الرسائل ، هي استخدام حروف الجر. فقد استخدم اليونانيون الكثير من حروف الجر لتوضيح المعاني الضرورية بصورة أدق، وبالمثل تستخدم هذه الحروف في بعض اللغات الحديثة، لكن في لغات أخرى يستخدم القليل منها. فإذا كانت لغتك من الفئة الأخيرة؛ فعليك إذن أن تجتهد لكي توصِّل المعاني التي في الرسائل لسامعيك. ربما تجرَّب بأن تتغاضى عن أهمية بعض هذه الكلمات الهامة. أيضا تتسم حروف العطف بأهمية قصوى في الرسائل، إذ أنها تربط جُمل الحوار.

3- تفهَّم الموضوع الرئيسي للنص قبل البدء في تفسير التفاصيل:

إن لم تستوعب الموضوع الرئيسي للنص؛ فسيفوتك المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه الكتاب المقدس. وينطبق هذا بصفة خاصة على الأجزاء الكتابية التي تتعارض فيها آراء المؤمنين، مثل تلك المتعلقة بالأمور التي يكثر فيها الجدل أو المختصة بالمواهب الروحية (انظر رو14، 1كو12). فعندما تستوعب نقطة الحوار الرئيسية وتتفهَّم المشكلة التي يعالجها الرسول، سوف تنأى بنفسك عن العَرْض غير المتوازن للموضوع. وأكرر هنا، فإن وضع الأفعال الرئيسية في الاعتبار له أهمية قصوى، إذ أن هذه الأفعال تربط أجزاء الفقرة ببعضها البعض.

4- اعرف الظروف التي أحاطت بمن كُتبت لهم الرسالة كلما أمكنك ذلك:

سوف تفهم التعبيرات التي استخدمها يوحنا في رسائله إذا توصَّلت إلى معرفة شيء عن البدعة الغنوسية التي واجهها آنذاك. وسوف تتفهَّم قصد بولس من كتابته لأهل غلاطية، بكل هذه القوة، حتى بدا أنه يتعارض مع ما كتبه يعقوب؛ إذا علمت أنه كان يعالج موقفًا بدا فيه الناس يرتدون إلى الاعتقاد بأن الخلاص إنما يكون بالأعمال وبحفظ الناموس. وفي واقع الأمر، فإن يعقوب كان يواجه موقفا مضادًّا، فيه ركن الناس إلى معرفة ذهنية لم تُسفِر عن نتائج عملية في حياتهم.

5- قرِّر مسبقًا كيفية تناولك للرسالة:

ربما ترغب في تناول الرسالة برمَّتها في حالة عدم التزامك بعامل الزمن، لكن ذلك ربما يتطلب منك أعوامًا لتعظ مرة واحدة أسبوعيا لتفسير تفصيلات الرسالة. لا تنسى أن معظمنا لا يمتلك القدرة على تحمل سلسلة من العظات بهذا الطول، ولا عندنا الشعب الذي يرغب في الاستماع لمثل هذه السلسلة الطويلة من العظات؛ لذا عليك ان تقرِّر الموضوعات الرئيسية التي سوف تعرضها، أو الأجزاء التي سوف تنحِّيها جانبًا، أو النقطة التي ستتوقف عندها لتتناول موضوعا آخر. العظات المتسلسلة تبني إيمان الشعب، لكن لا داعي لأن تفقد تشوقَّهم بالاستمرار في نفس السلسلة لوقت طويل. إن من أصعب الأمور على الواعظ هو اختيار ما يجب أن يتركه جانبًا من كنوز الرسالة.

6-دقّق جيدًا في اختيار موضوعاتك، حتى تحقّق توازنًا مناسبًا في التعليم:

إحترس من الاستمرار في اتخاذ الجانب العقيدي في الرسالة كمادة لعظاتك، أو الاستمرار في اتخاذ الجانب الأخلاقي. معظم الرسائل تبدأ بالعقيدة، ومنها إلى المباديء الأخلاقية التي تنتج عن هذه العقائد. فإن وعظت عن المباديء الأخلاقية بدون عقيدة؛ ستجعل هذه المباديء الأخلاقية؛ بدون أساس، وإن وعظت عن العقيدة من دون مباديء أخلاقية؛ فكأنك أضعت العقيدة في الهواء دون مواكبتها للحياة اليومية. كل منا له موضوعاته المفضَّلة، ومن فوائد الوعظ التفسيري، أن يحول بيننا وبين تكرار الوعظ عن تلك الموضوعات.

7- اتَّبع قواعد التفسير الكتابي:

من هذه القواعد الحيوية، ألا تفسِّر جزءًا من الكتاب المقدس بأسلوب مناقض للتعليم الواضح لجزء آخر منه. وهذا الكتاب ليس مجالاً لتقديم قائمة كاملة بقواعد التفسير، إلا أني أود التنبير على أمر واحد فقط: فكثير من العلمانيين يقتربون من الكتاب المقدس بانطباع أنه مادام أنه كلمة الله الموحَى به بروحه، فهو لذلك لا تنطبق عليه القواعد اللغوية العامة، فإن سألتهم عن معنى إحدى الآيات في موضوع من الموضوعات، فإنهم يتجاهلون المعنى الواضح والبسيط للكلمات ويقدِّمون بعض العبارات العامة التي يتذكرونها عن الكتاب المقدس مثل "ينبغي أن نؤمن بيسوع"، مع أن الآية ربما لا تذكر شيئا من هذا، إلا أنه يبدو أن هناك شعورًا دفينًا بأنه لا يمكن لهذه الكلمات المحدَّدة أن تحمل المعنى القريب والواضح للعامة، ولابد أن هناك معان أعمق لا يعرفها إلا الذين أُعِدوا للخدمة.

وقد تسبب الوعاظ في بعض الأحيان في هذه الحقيقة المؤلمة؛ إذ أنهم يستخرجون صورًا خيالية من أجزاء من الكتاب المقدس، لا تمت بصِلة إلى المعنى المقصود منها. ولأن شعب الكنيسة لا يدركون الصِّلة بين النص والصورة المقدَّمة، فإنهم يفترضون بأن هناك خطأ ما في طريقة فهمهم للكتاب المقدس، عوضًا أن يفترضون الخطأ في الواعظ نفسه. ومهمتنا ليست أن نضع العراقيل أمام المعاني البسيطة والواضحة، لكن على

العكس، أن نزيدها وضوحًا؛ فيرجع الناس إلى بيوتهم توَّاقين إلى إعادة قراءة النص الذي قُدِّم، إذ أنه بات واضحًا تمامًا لهم.

تطبيق عملي

في تفسير الرسائل أجد أنه من المفيد حقًّا كتابة النص في عمودين (انظر جدول5). وقد سجَّلت كلمات أقل في كل سطر، نظرًا لكثرة ما يمكن تَعلُّمه من الرسائل. حاول إخفاء العمود الأيسر من الجدول لتتيح لنفسك تدوين استنتاجاتك الشخصية.

ستحتاج لمساحة أكبر لكتابة تحليلك للرسائل نظرًا لما تتضمَّنه من مادة مزدحمة بالأفكار. من الأفضل أيضا أن تعيد قراءة الجزء مرة أخرى بعد انتهائك من كتابة العمود الأيمن، وقبل شروعك في كتابة العمود الأيسر من الجدول، عند ذلك قد تظهر لك أنماط معينة.

التفسير

دعني أعلّق على هذا التحليل: سوف تلاحظ – باديء ذي بدء – أنه عند البدء من الحافة سيكون من اليسير ملاحظة الأفعال الرئيسية. فأنت ترى هنا أن الله قد باركنا (عدد3)، واختارنا (عدد4)، وسبق فعيَّننا (عدد5)، وأنعم علينا بنعمته (عدد6)، وعرَّفنا بسر مشيئته (عدد9). بمجرد ملاحظتي لذلك، أستطيع سريعًا أن أحدِّد الخطوط الرئيسية لعظة على الجانب الأيسر من الجدول، ويكون موضوعها "الأمور العظيمة التي صنعها الله لنا"، وتُبنَى الأجزاء الرئيسية بناءً على اختيار الله لنا قبل تأسيس العالم، مما يقودنا إلى

جدول (5أ) تصنيف النص الوارد في (أف1: 3 – 10)

عدد3	مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات

	في المسيح
عدد4	كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة
عدد5	إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح حسب مسرَّة مشيئته
عدد6	لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب
عدد7	الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته
عدد8	التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة
عدد9	إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه (في المسيح)
عدد10	لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك

جدول (5ب) تحليل لما ورد في أف1: 3- 10

الله هو الله بالنسبة ليسوع كإنسان، علينا أن نسبحه.
الله أيضًا هو أبو الرب يسوع بكل معنى الكلمة.
يسوع هو الرب الأسمى.
إنه المخلص والممسوح.
ماذا فعل الله – باركنا:
- في البعد غير المنظور لكنه روحي وحقيقي.
- في كل شيء وبكل ما نحتاج إليه.

- البركات روحية تناسب أعمق احتياجاتنا.
- كل شيء متضمَّن في المسيح وعلاقتنا نحن به.
ماذا فعل الله بالتفصيل – اختارنا.
- في المسيح أيضا.
- متى فعل ذلك – قبل تأسيس العالم.
- لماذا فعل ذلك – لنحيا حياة إيجابية مقدسة، بارَّة.
- لمحو اللوم بسبب الحياة الشريرة.
- ما يحدث في نظر الله هو المهم.
- الدافع القوي لله هو المحبة.
ماذا فعل الله بالتفصيل – عيَّننا مقدَّمًا.
- لماذا فعل هذا – ليتبنانا في عائلته.
- في المسيح أيضا.
- لأن الله اختار أن يجريها بهذه الطريقة.
- هذه المحبة العجيبة التي لا نستحقها جديرة بمدحنا.
ماذا فعل الله بالتفصيل – أعطى نعمته مجانا
- مرة أخرى كل هذا في المسيح فقط – الباعث الأسمى لمحبته.
تقود النعمة (في المسيح) إلى الفداء – يشترينا ثانية.
هذا متاح من خلال الصليب فقط.
تشتمل غفران الخطايا وتجعله ممكنا.
كل هذا متناسب مع غنى النعمة.
النعمة جزيلة (بغير حساب).
وتُظهر حكمة الله الكاملة وفهمه
ماذا فعل الله بالتفصيل – إعلان وإظهار.
- سرٌّ كان مكتومًا، ولكنه أُظهر الآن.
- ويعتمد هذا بجملته على مسرَّته،
- وقصده المدروس.
- كل هذا مشمول في المسيح أيضا.
لابد لمشيئة الله أن تُتمَّم.
لكن في الوقت المعيَّن – هذا تدبير نهائي.
هذا انجاز نهائي.
هذا الهدف هو تجميع كلي للكون المنحل أرضيا وروحيا.
هناك رأس مركزي لهذا الإنجاز الجديد.
إنه يسوع المسيح نفسه.

القداسة والوقوف أمامه بلا لوم، وتعيين الله السابق لنا للتبني، يقود إلى كوننا أولادًا لله، وتعريفنا بالله يقودنا إلى مشاركتنا في ما يعمل، وبركة الله لنا بكل بركة روحية تقودنا إلى نوال كل ما نحتاجه لنتمِّم خطته لنا. من الواضح أنه يوجد الكثير والكثير من الأفكار التي تعيننا على الاستمرار في تقديم العظات لبعض الوقت.

ثم لاحظ حروف الجر- نحن مباركون في المسيح وفي السماويات. لقد سبق فعيَّننا لِلتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته. تضيف هذه الكلمات الصغيرة عمقًا جديدًا لمفهومنا عن محبة الله لنا.

لعلك لاحظت أن الله مستمرٌّ في إنجاز كل مشيئته لنا "في المسيح". حينما ألقيت بنظرة سريعة على الفقرة ككل، لاحظت هذا الموضوع المتكرر مرارًا، لذا فقد تعمدت وضع الكلمات التي تؤكد هذا الفكر على نفس البعد من حافة الجدول (راجع جدول5). وهكذا أمكنني بسهولة أن ألتقط من تحليلي للفقرة أننا بوركنا بكل بركة في المسيح، تم اختيارنا في المسيح، سبق تعييننا للتبني في المسيح، لنقبل نعمة الله العظيمة في المسيح، ونجد الفداء فيه، ونرى فيه إتمام مقاصد الله ومشيئته في التاريخ. نجد هنا الكنز الأعظم لمادة عظة حول موضوع الغِنى الذي لنا في المسيح. بعد ذلك لاحظت الأسباب التي دعت الله أن يسكب نعمته علينا في يسوع المسيح. يخبرنا عدد4 أن قصده من اختيارنا هو أن يخلق أناسًا يحيون حياة مقدسة، حياةً بحسب مشيئته ونقاوته. ويخبرنا عدد5 أنه قد سبق فعيَّننا حتى ننال التبني فننتسب إلي عائلته، ويخبرنا عدد10 أن قصده النهائي هو أن يجمع هذا العالم المفكك تحت سيادة الرب يسوع المسيح. فنحن نجد في هذه النقاط الثلاث أهميتنا، كما نجد أماننا؛ فلن يمنعه أحد من إتمام مقاصده، كما نجد أننا موضوع محبته اللانهائية. آه لو يدرك الناس من هو الله! إذن لتخلَّوا عن كل السبل الأخرى لإشباع احتياجاتهم الأساسية التي وضعها الله فيهم. وهكذا تكوِّن هذه الثلاثة مقاصد الإلهية أساسًا لعظة، مستخلصة من رسالة أفسس مباشرة، وتنطبق على الاحتياجات الملحَّة لرجال ونساء العصر الحالي.

لاحظت أيضا في هذه الفقرة أن الله اختارنا من قبل تأسيس العالم عدد4. كان يعمل لأجلنا حتى قبل بداية التاريخ. لكن عدد7 يخبرنا أننا نلنا الفداء في الصليب بدم المسيح، أي غفران خطايانا. أي أن الله كان يعمل أيضا أثناء التاريخ. ويخبرنا عدد10 أنه ينوي أن يجمع كل الأشياء تحت سيادة المسيح، أي أنه سيتمِّم مقاصده لنا عند نهاية التاريخ وما بعده أيضا. ما أروع هذه الصورة التي توضح لنا محبة إلهنا ونعمته! فرسالة عن هذا

الموضوع يمكن أن يكون لها أبلغ الأثر لإنسان يائس يشعر بأن حياته على وشك الانهيار، أو أنه لا يجد أيَّ معنى لحياته على الإطلاق.

وبمواصلة التأمل في نفس العمود من الجدول، وجدت أيضا تباينًا شديدًا بين تكلفة هذا الخلاص العجيب من جهة الإنسان، وبين تكلفته على الرب يسوع. فبالنسبة لنا، نجد النعمة العظيمة المجانية، وقد أنعم بها علينا في المحبوب، أما بالنسبة له فهناك ثمن دمه الذي سُفك مجانا من أجلنا. ليس هذا هو الموضوع الرئيسي للفقرة، وما كنت لأتخذ هذا التباين كأساس لعظة، لكن يمكن أن تُلفَت به الأنظار في عملية بناء أحد الأجزاء الرئيسية للفقرة.

الخطوط العريضة للعظة
يمكن للنقاط التالية أن تحدّد الخطوط العريضة لعظة تُبنى على الأفعال الرئيسية في هذه الفقرة:-

1- الله قد اختارنا:
يخبرنا عدد4 كيف، ومتى، ولماذا.
- اختارنا في المسيح، ونحن مدينون له بكل شيء.
- اختارنا قبل تأسيس العالم، فليس لنا دور في ذلك.
- اختارنا لنكون أناسًا قديسين، وكاملين تحت قيادته.
- اختارنا لنكون بلا لوم، وأبرياء من كل إدانة.

2- سبق الله فعيَّننا:
يخبرنا عدد5 بالآتي:
- أن أساس هذا الحق هو محبة الله.
- وأنه كان بغرض التبني ليضمَّنا إلى عائلته.
- ينبغي علينا عبادته، وتوقيره، وتسبيحه لأن هذا العمل بكامله إنما، صنيعه هو، وبحسب مسرة مشيئته.

3- وهبنا الله نعمته المجيدة مجَّانًا:
يخبرنا عدد6 ، 7 أن هذه النعمة مجانية تمامًا، لكن ذلك لأننا نلنا الفداء من خلال الثمن الباهظ الذي دفعه المحبوب بدمه المهراق.
هذا ما جعل غفران خطايانا ممكنًا.

4- عرَّفنا الله بسر مشيئته:
يوضح عددا 9 ، 10 أن ما عمله الله – ويعمله من أجلنا – إنما هو في إطار خطة شاملة العالم كله والتاريخ بطوله. فيومًا ما سيجتمع الناس جميعا تحت سيادة الرب يسوع المسيح.
فلا عجب إذن من أن يبدأ بولس هذه الفقرة بمجد الله، ثم بالقول بأن الله باركنا بكل بركة روحية في المسيح يسوع.
ما سبق يمثل أوضح الخطوط العريضة لعظة، وكنت مدركًا – وأنا أكتبها – لغنى المادة التي تحتويها. يجب مراعاة الاختيار الدقيق للنقاط التي سوف تُشرح. سوف تلاحظ أيضا غياب المقدمة في هذه العظة؛ فسوف نتناولها في جزء آخر من هذا الكتاب. وما أود التنبير عليه هنا، أن هذه الحقائق الثمينة موجودة بالكتاب المقدس وتحتاج فقط لاستخراجها ووضعها أمامنا، وهذه مهمتنا كوعاظ بالكلمة.

أسئلة للدراسة

1- ضع الخطوط العريضة لعظة عن التبرير بالإيمان بحسب ما جاء في رومية5: 1-11.
2- ما هي الظروف التي دفعت يوحنا إلى كتابة رسالتيه الثانية والثالثة، بالرجوع إلى ما جاء بهاتين الرسالتين فقط دون الاستعانة بالتفاسير؟

3- اكتب قائمة بالأفعال الرئيسية في 1تيمو4: 6 – 16. ما الذي عليك فعله – في ضوء هذه الأفعال – لتصبح واعظًا أفضل؟ وضح ذلك في صورة قرارات عملية تبدأ في تنفيذها مباشرة.

4- كيف تخطط لسلسلة من العظات في سفر طويل مثل رسالة رومية؟

الفصل التاسع

تفسير أسفار الأنبياء

موضوع عسر التفسير لكنه مُشبع:
إذا كانت الرسائل تمثل الجزء الأكثر تحدٍّ للذهن وإشباعًا للمفسِّر، فإن أسفار الأنبياء تمثل الجزء الأكثر صعوبة. فقد خاطبت هذه الأسفار ظروفًا مختلفة تماما عن ظروفنا المعاصرة، من حيث كل ما هو خارج النفس البشرية، كذلك اختلفت صورة اللغة المستخدمة عن لغة الحياة اليومية في عصرنا؛ مما يجعل فهمنا لها يشكّل صعوبة بالغة. لكن الكتاب المقدس يعلّمنا أن "كل الكتاب هو موحى به من الله.... ونافع"، وعندما نكتشف ما بداخل أسفار الأنبياء نجد الكثير من رسائل الله المواكبة لعصرنا والموجَّهة لنا.

لابد لنا أن ندرك أن النبي لم يكن مجرد شخص يتنبأ بما سيحدث مستقبلاً، لكنه كان شخصا يعلن فكر الله عن الأحداث الجارية في أيامه. فأسفار الأنبياء هي تفسير الله للحياة الدينية، والاجتماعية، والأدبية، والسياسية في تلك الأيام. ونظرًا لأن الإنسان هو الإنسان، فلازال يواجه المشكلات في تنظيم مجتمعه وإدارته، لذلك فإن أسفار الأنبياء تقدم التفسيرات المناسبة لظروفنا في هذه الأيام. يشكو الناس أحيانا أن المؤمنين لا يناقشون مشكلات المجتمع، لكن هذا ليس صحيحًا البتة في أسفار الأنبياء التي إن تم شرحها بأمانة، فسوف نجد ما نقوله في المواقف المختلفة.

في عاموس8: 5 يشكو النبي من مادية رجل الأعمال الذي لم يَطِقْ صبر الانتظار حتى ينتهي الاحتفال الديني ليواصل نشاطه التجاري. وذلك الشخص أيضا الذي صغَّر حجم "الإيفة" – وهي المعيار المستخدم لمكيال الحبوب التي يبيعها– وكبَّر الشاقل الذي يزن به نقود المشترين. وهكذا نجد أن الغش التجاري لم ينته مع

عاموس، وإن تغيرت وسائله. فلو كان علينا تفسير عاموس8، لتحتم علينا الحديث عن هذا الموضوع.

بعض النقاط المساعدة في تفسير أسفار الأنبياء:
1- حاول قدر استطاعتك اكتشاف ظروف تلك الأيام، وكيف عاش الناس عندئذ، تجاربهم الإنسانية ومخاوفهم ومشكلاتهم، إيجابياتهم وسلبياتهم.
بذلك سيكون لديك صورة أوضح لنوع الرسالة التي حملها لهم النبي من عند الله. عاش كثير من الأنبياء في أزمات وفترات من الفوضى مثلنا تمامًا، بسبب تغيُّر الحكومات وانقسامات المجتمع، وقسوة الحياة بالنسبة للعامة. وبعضهم عاصر الأوقات التي واجه فيها الناس استفزاز الرفاهية.

والطريق الوحيد للتعرف على هذه الظروف المختلفة هو قراءة كتب التفسير التي توضحها لنا. لا يمكنك الوصول إلى خلفية كاملة للظروف المعاصرة للأنبياء من مجرد كتاباتهم، لكنك تستطيع معرفة النذر اليسير من بعض الأجزاء كتلك التي أوردناها من سفر عاموس على سبيل المثال.

أيضا قراءتك لأحد الكتب الجيدة للتاريخ اليهودي سوف تساعدك لكي تفهم – مثلا – لماذا اتخذ إرميا هذا الخط الحزين، ولماذا يكتب حَجَّي عن الأجور التي تؤخذ "في كيس منقوب"، مستخدمًا مثالاً حيًّا لمشكلة التضخم.

فالإنسان لا يتغير عبر العصور، وأنت تعظ لبشر، لذا فعليك معرفة ما كانت عليه الظروف عندئذ وأن تترجمها إلى واقع حياة سامعيك. فإذا رجعنا إلى حَجَّي، يتضح من الأعداد القليلة الأولى من السِّفر أن بعضهم – بعد رجوعهم من السبي في بابل – خطَّط لبناء بيوت فاخرة ذات جدران مغشَّاة. إلا أنهم في ذات الوقت زرعوا كثيرًا لكن لم يحصدوا إلا القليل. "أكلوا وليس إلى الشبع، شربوا ولم يرتووا، اكتسوا

ولم يدفأوا". من الواضح أن اقتصادهم لم يكن على ما يرام. هذه كانت الحالة الإنسانية التي وجدها النبي، وهي شائعة جدا في كثير من البلدان في العصر الحالي.

2- تعرَّف على ما كان يقوله الله في هذا الموقف الإنساني، وعلى إجاباته التي أعطاها للناس.

لقد عرَّف الله حجَّي، السبب في انخفاض محصولهم، فقد تعمَّد الله أن يخيِّب آمالهم، إذ بعدما جمعوا حصادهم "نفخ عليه"، بمعنى آخر كان هذا قصاصا من الله، وذلك بسبب إهمالهم التام لبناء بيت الله. لقد صنعوا لأنفسهم بيوتا مغشَّاة، لكنهم تركوا بيت الله "خرابًا"، وذلك لخطأ في ترتيب أولوياتهم. ادَّعوا أنهم مؤمنون، لكن عاشوا مادِّيين، رفضوا أن يعطوا الله المكان الأول. ليس عليك أن تبحث كثيرا لترى تطبيقًا واضحًا لكثير من أحوالنا المعاصرة، صحيح أننا نستخدم عُملات مختلفة لنقدِّر أموالنا بخلاف ما استخدموا، وربما لا نحتاج إلى بناء بيت نفيس لله، لكن مبدأ الأنانية – أو تفضيل الماديات عن الله – لا يزال قائمًا كما هو تمامًا.

3- اعط اهتمامًا خاصًّا للأفعال الرئيسية.

ربما تبدو هذه النصيحة أساسية من وجهة النظر النحوية، لكنها نادرًا ما توضع في الاعتبار.

4- اعط اهتمامًا أكبر للرمزية في أسفار الأنبياء.

إن الرمزية سمة شائعة جدا في أسفار الأنبياء، ولا تبرز كثيرًا في أي جزء آخر من الكتاب المقدس. ويمثل الخيال الخصب هنا فائدة عظمى، ليس لاختلاق المعاني، ولكن لفحص الرمز، وإدراك الغرض منه. أُخبر حزقيال أن كرازته ستلاقي مقاومة وأنه لن يجد راحة، وقال الرب له أنهم: "قريس وسُلاَّء (أي أشواك) لديك، وأنت ساكن بين العقارب" (حز2: 6). لا يحتاج مَن اختبر السير في الأدغال إلى خيال واسع ليدرك قصد الله بالقريس والسُّلاء من كل جانب، ولن يرغب مَن لُدِعَ من العقرب أن يعيش بين العقارب.

طُلب من كلٍّ من حزقيال ويوحنا أن يأكل (أسفارا)، فأي تصوير أبلغ من ذلك فيما يعني القراءة والتعلُّم والاستيعاب بعمق لسفر، حتى يصبح جزءًا منك؟ كما أُرسل إرميا للفخاري حتى يرى الوعاء الذي فسد بين يديه، فيتعلم أن الله يمكنه أن يأخذ الطين البشري الفاسد بين يديه، ليصنع منه وعاءً آخر.

بطبيعة الحال فإن الأنبياء يَرَوْن المستقبل، وهنا لابد من الحذر الشديد في تحديد المقصود به كرمز، والمقصود منه كحقيقة. فعلى سبيل المثال انقسم المفسرون حول ما إذا كان الهيكل – الذي رآه حزقيال في نهاية سفره – سوف يُبنَى مستقبلاً أم لا؛ فيرى البعض أنه تصوير رمزي للمجتمع المثالي ويشير إلى أورشليم الجديدة، المذكورة في سفر الرؤيا. ويرى البعض الآخر أن هذا الهيكل سوف يُبنى فعلا في إسرائيل يوما ما. غَنِيٌّ عن القول بأن على كل إنسان أن يقتنع بما يعتقد، لكنِّي أحبِّذ أن نتردَّد كثيرا في أن نكون جازمين في هذه الأمور. لقد ضلَّ "شهود يهوه" فيما يتعلق بالرمزية حين اتخذوا رقم 144.000 المختومين في رؤ7 بصورة حرفية، فالكثير من رموز أسفار الأنبياء ما هي إلا صور بلاغية لتقريب نقطة ما، بصورة أقوى وأكثر وضوحًا.

تطبيق عملي:

لنلق نظرة على جزء من سفر هوشع ونعالجه بذات الطريقة كما سبق، فكتابة الفقرة سيزيد من فهمنا لها (انظر جدول6). يشمل هذا الجزء الأعداد من 1- 9 من الأصحاح الرابع عشر، وقد وُجِّه هذا السفر إلى المملكة الشمالية من إسرائيل، التي كانت تتمتع بفترة ازدهار رائعة عندئذ، لكنها ضلت من الناحية الأخلاقية والروحية أيضا. وقد صُوِّرت خطاياهم بوضوح شديد، أما محبة الله فقد أظهرت بالمثل العملي الذي تزوج فيه هوشع من امرأة زانية اشتراها من سوق للعبيد، وهي صورة توضح محبة الله لشعبه.

التفسير:

تبين هذه الفقرة بوضوح طبيعة التوبة الحقيقية وثمارها. لقد قُدمت الدعوة للرجوع إلى الله لأولئك الذين رفضوه وذهبوا من ورائه، مع وعد بالبركات العظمى في حالة تلبية الدعوة؛ لذا فلسوف أقدم عظة عن هذا الجزء بحسب الخطوط العريضة التالية، مع رجاء ملاحظة الرمزية التي تنساب بطول الفقرة.

جدول (6) تحليل لما جاء في هو14: 1- 9

عدد1: إرجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك، لأنك قد تعثرت بإثمك.	دعوة للتوبة. ارجعوا إلى الرب. الخطية تسبب السقوط والفشل.
عدد2: خذوا معكم كلامًا وارجعوا إلى الرب قولوا له "ارفع كل إثم واقبل حسنًا فنقدم عجول شفاهنا.	الحاجة إلى الاعتراف العلني العودة لمواجهة الرب طلب الصفح العام بالاتكال على محبته المحسنة (الكريمة). وعد بتكريس جديد.
عدد3: لا يخلصنا أشور لا نركب على الخيل	إعلان علني عن خطايا محدَّدة لا اتكال على السياسة ولا

ولا نقول أيضا لعمل أيدينا آلهتنا.	على القوة الحربية لا اتكال على ما عملناه من آلهة.

تابع جدول (6)

إنه بك يُرحم اليتيم.	تجديد الثقة بالله.
عدد4: أنا أشفي ارتدادهم.	تجاوب الله بالنعمة.. الشفاء
أحبهم فضلاً.	كما أحب هوشع زوجته المتمردة.
لأن غضبي قد ارتد عنه.	غضب حقيقي لكنه زال.
عدد5: أكون لإسرائيل كالندى. يزهر كالسوسن. ويضرب أصوله كلبنان.	إمداد بالحياة في أرض جافة. جمال نقي التأصل في الرب رمز القوة.
عدد6: تمتد خراعيبه ويكون بهاؤه كالزيتونة وله رائحة كلبنان	تجديد الحياة. إنتعاش. له جاذبية.
عدد7: يعود الساكنون في ظله	معونةً للآخرين

يحيون حنطة ويزهرون كجفنة. ويكون ذكرهم كخمر لبنان.	حصاد من البر. إثمار سيعلم الآخرون عندما يرجع شعب الرب.

تابع جدول (6)

عدد8: يقول أفرايم: مالي أيضا والأصنام؟ أنا قد أجبت، فألاحظه أنا كسروة خضراء. من قِبَلي يوجد ثمرك. عدد9: من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور، وفهيم حتى يعرفها فإن طرق الرب مستقيمة. والأبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها.	القلب التائب. الرب الذي يستجيب المؤمن المزدهر (الناجح). مصدر النجاح والازدهار. يجب أن نتعلَّم من أخطاء الآخرين. يجب أن نتعلم حتى نعرف: 1- أن الله صادق دائما. 2- أن نكون أبرارًا مع الله هو الصواب 3- أن التمرد على الله والابتعاد عن طرقه إنما يؤذينا نحن

فالرمزية ليست فقط في تشبيهات واضحة، مثل "جمال السوسن"، لكن أيضا في عبارة مثل "أشور لا يخلّصنا". إحدى خطايا إسرائيل المتكررة، كانت الاعتماد على الخطط السياسية بدلاً من الاتكال على قوة الله، مما أودى بهم إلى اضطرابات متوالية مع جيرانهم.
وبالمثل كان ذكر ركوب الخيل إشارة واضحة إلى القوة العسكرية، ذلك لأن الفرس كان أهم عناصر المعدات الحربية.

الخطوط العريضة للعظة:
الموضوع: الحاجة إلى النهضة والوعد بها.

1- دعوة إلى التوبة:
يدعو الله إسرائيل – كما يدعونا – إلى التوبة والرجوع إليه. فلا نهضة بلا توبة.
تمكّننا هذه الفقرة من إدراك معنى التوبة الحقيقية؛ فهي تخبرنا أنها تتضمَّن الآتي:
-*الرجوع* إلى الرب الذي تركناه (عدد1).
-*الاعتراف* للرب بأن خطيتنا هي سبب مشاكلنا (عدد2).
-*الإقرار* بالقول تفصيليًّا عما فعلنا وعما لم نفعله (عدد2).
- طلب إسرائيل من الله الغفران لخطاياه بصفة عامة، والغفران عن:
- اعتماده على الخطط السياسية بدلاً من الاتكال على الله (عدد3).
- الاعتماد على الموارد العسكرية (عدد3).
- الاعتماد على الآلهة المصنوعة بالأيادي واستجاباتها (عدد3).
- في حالتنا يمكن – أن تكون الخطايا المقابلة:-
- الاعتماد على تخطيطنا وبرامجنا لحل مشكلاتنا.
- الاعتماد على ذوي النفوذ للإفادة من نفوذهم.
- الثقة في برامج بشرية لتنمية مواردنا، مثلاً.

- في نهاية الأمر، اعترف إسرائيل أنه لن يجد المحبة الحقيقية بعيدًا عن الله (عدد3).

منذ جنة عدن والإنسان يحاول أن يجد إشباعًا لاحتياجاته بالاتكال على نفسه، مستقلا عن الله، ومثل هذا لا يُعد إشباعٌ على الإطلاق، وعلينا الرجوع إلى الله والاعتراف بخطئنا هذا.

2- الوعد بالشفاء:

عندما يرجع شعب الرب إليه رجوعا صادقا، يقدم الله وعوده لهم بالآتي:

- يشفي ارتدادهم وعصيانهم (عدد4).
- يسكب عليهم محبته بسخاء (عدد4).

(هنا يمكن تقديم نموذج هوشع)

- تجديد شعبه وإنعاشه، مثل الندى الذي يُحيي الحقول اليابسة في إسرائيل في موسم القيظ (عدد5).

أما نتائج هذا الشفاء الحقيقي غير المنظور، وهذه المحبة، وهذا التجديد، فسوف تُلاحظ في الآتي:-

تُرد للحياة المدمرة: جمالها (عدد5)
قوَّتها (عدد5)
نموها (عدد6)
إثمارها (عدد6)
وجاذبيتها (عدد6).

ويرجع شعب الرب – تحت غرسه ورعايته – إلى الإثمار وإلى مساعدة الآخرين أيضا.

3- نصيحة بالتيقظ والانتباه:

كُتب الكتاب المقدس لتعليمنا، وتكمن الحكمة الحقيقية في ملاحظة تعاليمه (عدد9). ونحتاج أن ندرك أنها موضوعة لكي نفهمها، لذا نستطيع تعلُّم ثلاثة دروس من خطية إسرائيل وتوبته:

1- طرق الرب مستقيمة، لذا فمن البديهي أن نسلك فيها وليس في طرقنا (عدد9).
2- البر يعني السلوك في الطريق المستقيم الذي وضعه الله لكي نسلك فيه.
3- إذا آثرنا التمرد فلنتوقع المتاعب. سوف تفشل خططنا ونتعثَّر في الحياة (عدد9).

أكرر مرة أخرى أن هذه الملاحظات ما هي إلا الهيكل الخارجي لما كنت سوف أدوِّنه أنا شخصيًّا، لكنني سجلتها لكي أوضح كيف أن كتابة الفقرة يمكن أن تفيد كثيرًا في إعداد عظة، تأتي مباشرة من كلمة الله. أسفار النبوات من أعظم ما كُتب، لكنها تُهمَل كثيرًا جدا من كنيسة اليوم.

أسئلة للدراسة

1- حلِّل حز2: 8- 3: 11، وضع الخطوط العريضة لعظة عن مسئوليات خادم كلمة الله وامتيازاته.
2- ماذا يُقصد بالرموز الموجودة في إش40: 1- 11، دا 7: 19- 22، والرموز التالية في سفر عاموس: بقرات باشان (4: 1)، مقارنة الحق بالمياه والبر بنهر دائم الجريان (5: 24)، والخيل التي تركض على الصخر والبقر الذي يحرث على الصخر(6: 12)؟
3- اكتب مرادفات حديثة للرموز التي عُبِّر عنها في عاموس في السؤال السابق، مستخدمًا تعبيرات تكون ذات معنى لمن يعيشون في المدينة.

الفصل العاشر

مقدمة العظة

تعريف

مقدمة العظة هي الوسيلة التي يتم بواسطتها ربط أفكار السامعين بأفكار المتحدث في أقصر وقت ممكن. عندما تقف لتعظ شعبك، يكون ذهن كلٍّ منهم مليئًا بالأفكار من هنا وهناك، فها هي إحداهن تفكر فيما إن كان في بيتها ما يكفي للوجبة التالية، والآخر منشغل بديونه وكيف يسدِّدها. ولا يدري أحد منهم عما سوف تتحدث، لذا فإن فضولهم لاكتشاف موضوع حديثك لن يستمر طويلا. وهنا تكمن فرصتك لتفوز بانتباههم، وتستغل لحظات فضولهم لتقود أفكارهم لما تريدهم أن يفكروا فيه. فإن نجحت في اجتذاب انتباههم في تلك اللحظات، فسوف تحتفظ به طوال الخدمة، أما إذا فشلت في ذلك فغالبًا ستفقد تركيزهم حتى النهاية. وليست ملامح الوجوه المشدودة نحوك دليلاً على تركيز الأذهان نحوك أيضا؛ فالأطفال يكشفون لنا عن ضجرهم عندما يتململون ويدورون بأبصارهم في المكان، أما البالغون فقد تعلَّموا إخفاء مشاعرهم، ففيما هم يبدون منتبهين ومتشوِّقين للاستماع، تكون أذهانهم بعيدة تماما عن المتكلِّم. ولا تفترض أيضا أن سامعيك راغبون في قيادة أفكارهم في اتجاه أفكارك. لاشك أن الكثيرين منهم تواقون لسماع كلمة الله، لكن البعض منهم يبدي اهتماما بصورة متقطعة، بينما يوجد البعض الذي لا يهتم على الإطلاق. عليك أن تقودهم مما يشغلهم الآن إلى ما تريدهم أنت أن ينشغلوا به، وربما لم يهتموا به البتة من قبل.

هذا ما يعطي أهمية عظمى لهذا الجزء الاستهلالي من الخدمة. فإذا تحركت أذهان الناس وقلوبهم بالعبادة ليحوِّلوا أفكارهم تجاه الله، فغالبا ما يكونون مهيئين لسماع ما تقوله كلمته لهم. فالعبادة الحقة لا تمجِّد الله فحسب، لكنها تهيِّء الناس لسماع حقه.

لقد وعظت في كنائس شعرتُ فيها أني لست في حاجة لقول المزيد، فحضور الله كان بيِّنًا في وسطنا، إلى الدرجة التي فيها تولَّد فيَّ الإحساس بأنه قد تم إنجاز نصف مهمتي قبل أن أبدأ في تقديم رسالتي. وعلى العكس من ذلك، وعظت في كنائس أخرى حيث قضيت النصف الأول من الرسالة وأنا أصارع؛ كي أجد مدخلاً لأذهان شعبها، الذي كان من الواضح تمامًا، أن العبادة لم تهيئهم لسماع كلمة الله، ولم يعتادوا على الانتباه للعظة.

التحضير الجيد ضروري وحتمي

يتضح مما سبق أن المقدمة الجيدة هي بمثابة أحد الأجزاء الرئيسية من العظة، وأسلوب إعدادها يعني الفرق بين نجاح التواصل بين المنبر والمقعد وبين فشله. والمقدمة الجيدة هي التي تكون مناسبة، لكل من ظروف السامعين وموضوع الرسالة. ربما تكون في غاية الحماسة لموضوع عظتك، لكن ليس كذلك سامعوك؛ فيتحتم عليك أن تبدأ من حيث يقف شعبك، وتحاول أن تدفعهم من هناك. أيضا ربما تكون متوائمًا تمامًا مع أحوال السامعين، لكن لو لم تربطهم بموضوع عظتك؛ ستفقد تركيزهم تمامًا بمجرد انتهائك من المقدمة. لابد من إقامة أساسات جسر على جانبي الهوَّة، فإذا بدأت حديثك بالقول: "أُسِّسَت كنيسة فيلبي أثناء رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية في عام 53 الميلادي"، فبعضهم لن يصغي إلى جملتك التالية، فسيبدو لهم أن عام 53 ميلاديًّا هو الماضي السحيق، وقد نُقِلت لهم رسالة بأن ما سوف تحدثهم به لا يمت لواقعهم بصلة. أيضا عندما تبدأ بالتصريح عن شيء معروف فأنت – في واقع الأمر – تشجع سامعيك على عدم الانتباه، فعندما تنبِّر قائلا: "اليوم هو عيد الميلاد"، فإنك لا تُعْلِمهم بشيء أو توحي لهم بشيء. ولا يفيدك شيء استخدام العبارات المطوَّلة لتعلن عن بديهيات. سمعت أحد المشاهير يبدأ حديثه بالقول: "كلنا يعيش في ظروف معاصرة تمامًا " We all live in a thoroughly contemporary situation"، لقد قالها بلغة أدبية رفيعة لكن حين توضع في كلمات عامة بسيطة فإنها تعني أننا "كلنا أحياء الآن!". أحيانًا تجد لديك رغبة جامحة في الإفادة من قصة سمعتها وتركت لديك انطباعًا جيدًا، وتظن أنها ستجذب انتباه الناس، لكن إن لم

تكن هذه القصة مناسبة لموضوع رسالتك فأنت تضيِّع وقتك؛ إذ مازال عليك أن تبني الجانب الثاني من الجسر، ومع ذلك فقد أضعت وقتًا ثمينًا فيما لا يفيد. في واقع الأمر – تمثِّل المقدمة الجيدة ما هو أكثر من جسر، فالجسر يمكن استخدامه أو الاستغناء عنه بحسب الرغبة، لكن المقدمة الجيدة ترغم سامعيك على متابعتك رغمًا عن أنفسهم. إنها تلعب دور (الشِّص) المليء بالطُّعم في عملية صيد السمك.

سمات المقدمة الجيدة

1) تجنب الانتباه:

مصمِّمو الإعلانات في التلفاز خبراء في هذا المجال، فهم لا يملكون سوى عدة ثوان من الوقت، لنقل فكرتهم للمشاهد، ومع ذلك يَصِلون إلى هدفهم بفاعلية شديدة. كذلك البائعون في الأسواق يحترفون جذب انتباه المارة، إلى أماكن عرض بضائعهم، سواء بتخفيضات مُغرية، أو بسيل من العبارات التي تشد انتباههم. فهم يدركون تمامًا أنه ما لم يجتذبوا انتباهك فلن يبيعوا شيئًا، فلو لم تلق نظرة على طاولة العرض، كيف يتسنى لك شراء السلع المعروضة عليها؟ علينا أن نتشكك في رغبة بعض سامعينا في الإصغاء إلينا، مع أننا نمتلك أكثر الأخبار بهجةً لنشاركهم بها.

2) تنتقل من المعلوم إلى المجهول بالنسبة للسامعين:

كلما زاد غموض موضوع عظتك، كلما وجب عليك مضاعفة المجهود الذي تبذله لتجذب انتباه شعب كنيستك. تحتاج بعض العظات إلى مقدمة بسيطة لكون موضوعها قريب من خبرات السامعين، لكن البعض الآخر يحتاج إلى مقدمة مجهَّزة بأكثر دقة، إما بسبب صعوبة الموضوع، أو لبعدها عن خبرة السامعين. أيًّا كانت الظروف فلابد للمقدمة أن تتقدم من المعلوم إلى المجهول.

3) تقود إلى الرسالة باختصار وبوضوح:

بعض المقدمات تكون بمثابة عظة في حد ذاتها، أو يذهب الخادم بعيدًا برواية قصة مشوِّقة بكل تفاصيلها، وعندما يصل في النهاية إلى رسالته تكون غير ذات قيمة لشعبه الذي يفقد حماسته للإصغاء عندئذ.

فالمقصود من المقدمة أن تقود إلى الرسالة، لا أن تجتذب انتباه السامعين إلى محتواها هي فحسب.

4) تقدم مدخلاً مختلفا للوصول إلى الرسالة:

تجنب البدء بسرد قصة، أو مثل، أو موقف درامي بصفة متكررة – فعندما يشعر السامعون أن الواعظ سيتبع مدخله المفضَّل لتقديم الرسالة، فإنهم يصلون بسرعة إلى ما تريد قوله، وستفقد حاسة الفضول الهامة عندهم.

5) تخدم موضوع الرسالة:

لا يجب أن تكون المقدمة شديدة الإثارة، بحيث تبدو بقية العظة باهتة بالنسبة للمقدمة. لابد من إعدادها بدقة، وحيث أنها في خدمة الموضوع الأساسي، لهذا السبب يجب أن تكون آخر ما يُحضَّر في العظة عادة، فكيف يتسنَّى لك تحضير مقدمة لعظة قبل أن تتأكد من الإتجاه الرئيسي لها؟

6) تُقدِّم رسالة معقولة ومنطقية:

أن تدفع بالسامعين إلى الاعتقاد بأنك ستعالج مشكلة الألم برمتها في عظة واحدة، فأنت تقودهم إلى الإحباط.

الأمانة المطلقة تستلزم ألا يدَّعي المؤمن لعظته أكثر مما ينوي أن يقدم، لذلك وأنت تحاول أن تجذب انتباههم بمقدمة عظتك، يجب أن تكون دقيقا ألا تذهب بعيدا، وتدَّعي أنك ستعالج أمورا أكثر من المعقول.

7) تهيء الناس لسماع صوت روح الله:

المقدمة الجيدة تحدِّد روح الرسالة وطابعها، علاوة على أنها تقود إلى محتواها. أنا لا أقترح عليك أن تشرع في خلق جو مصطنع من المشاعر، لكن الجُمل الافتتاحية والأسلوب الذي تقدمهم به، يمكن أن تحدِّد السِّمَة الصحيحة لما ترغب أن تقول. صحيح أن روح الله بنفسه يجب أن يتحرك في قلوب الناس، لكن المقدمة الجيدة، النابعة من قلب يقوده روح الله، أمر في غاية الأهمية.

نماذج مقدمات العظة

دعنا نتأمل في الطرق المختلفة التي يمكن أن نقدِّم بها العظة.

1) أمثلة توضيحية:

استخدم مثالا توضيحيا مألوفا للسامعين، وطبِّقه على الموضوع الذي بين يديك. بدأ يسوع حديثه لاثنين من الصيادين قائلا: "هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس". كان الموضوع مألوفًا تمامًا لآذانهما؛ فكان من اليسير عليهما أن يفهما قول يسوع، لكن كان يحمل في طياته أيضا لغزًا، لم يفهمه التلاميذ وأثار فضولهم ليعرفوا أكثر. كيف لهم أن يصيروا صيادي الناس؟ وماذا يعني صيد الناس عامةً؟ وهكذا استخدم يسوع عبارة بسيطة، لكي يثبِّت انتباه التلاميذ عليه. حين كان بولس يعظ في أثينا، أفاد من حالة التديُّن السارية عندئذ، فقال: "أيها الرجال الأثينَوِيُّون، أراكم من كل وجه كأنكم متديِّنون كثيرًا" (أع17: 22). لقد امتدح سامعيه لاهتمامهم بمسألة معرفة الإله، ثم أشار إلى أنه جاء ليخبرهم عن "الإله المجهول" الذي بنوا له مذبحا. لا تعطي ترجمة king James Version هنا المعنى المقبول المعاصر، فالكلمة التي وصف بها بولس الأثينويين بأنهم متدينون كثيرًا تحمل معنى إيجابيا وآخر سلبيا مؤداه أنهم "مؤمنون بالخرافات". فأنت لا تنجح في جذب انتباه السامعين حين تفترض أنهم غارقون في الخرافات، ولم يكن هذا ما يعنيه بولس. لقد اتخذ من حقيقة معروفة عن حياة الأثينويين مدخلاً ومقدمة للبشارة، ليقدمها لهم في سياق ثقافتهم.

2) عرض أخّاذ:

يمكن للعظة أن تُقدَّم بعرض يثير الدهشة. قال يسوع في مر2: 5 "يا بني مغفورة لك خطاياك...". وفي الحال أصبح كل من في البيت يتوق إلى تفسير ذلك، ومعرفة ما سوف يحدث بعدئذ. كان هذا التصريح غير معقول، ويحتاج إلى تفسير. من الطبيعي أن مقدمة كهذه تحتاج أن تُعالج برويَّة، لئلا تقود إلى آفاق عالية من الآمال التي لا يمكن الوفاء بها، أو تثبت عدم مصداقيتها.

يمكنك أن تقول شيئًا يثير فضول الناس. لقد استخدم يسوع هذه الطريقة مع المرأة السامرية: "لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاكِ ماءً حيًّا (يو4: 10). ولكونها بشرًا فلم تكن لتطيق الانتظار حتى تعرف ماهية هذه العطية، ومن يكون يسوع، وهذا بالضبط ما كان يسوع يريد أن يخبرها به! فإذا استطعت فقط أن تثير في الناس الفضول والتلهُّف لسماع ما تريد أن تقوله، فقد ربحت الجولة. يتجاوب الأطفال – بالطبع – بصورة رائعة لمثل هذا النوع من المقدمات، فصندوق مغلق، أو إناء مغطًّى، أو حتى قبضة اليد المضمومة، يمكن أن تبقيهم على أحرِّ من الجمر رغبةً وتلهُّفًا لمعرفة ما بالداخل، والواقع أن الآباء أيضا سيكونون على نفس الدرجة من الإثارة.

3) الأمثال:

لمعظم اللغات أمثالها الكثيرة وأقوالها المأثورة. ويمكن أن يكون استخدامهما فعالاً لشد الانتباه، حيثما يعرفها السامعون، وحيثما تشكّل جزءًا هامًّا من ثقافتهم. لقد استشهد يسوع كثيرًا بأمثال معاصرة لسامعيه، ليس فقط كمقدمات، لكن في مواقف أخرى أيضا. وقد اتُّخذت مقدمة إرميا عن أمجاد العهد الجديد الواردة في إر31: 29 ،30 من المثل الشائع

الذي يقول: "الآباء أكلوا حصرمًا، وأسنان الأبناء ضرست"، كنقطة انطلاق للإعلان عن المسئولية الشخصية ونعمة الله للخطاة في العهد الجديد الآتي.

4) الأسئلة:

حتى الأسئلة يمكن استخدامها في المقدمة، بشرط أن تخلق الإثارة والفضول. في مر2: 19 بدأ يسوع رسالة موجزة عن الحاجة إلى تغيير الكل بالسؤال الآتي: "هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟" وبراعة يسوع في الإفادة من حقائق الحياة اليومية العادية ليقدم رسالته – سواء قصيرة أو طويلة – لهي نموذج لكل الوعاظ. ينبغي تجنُّب الأسئلة الطويلة والمعقدة، فسؤال مثل "ما هو – في رأيك – الهدف الأسمى لحياة المؤمن، الذي يجب عليه أن يهدف لتحقيقه؟" مثل هذا السؤال يمكن أن يربك أكثر المتحمِّسين من المستمعين.

5) القصة:

هنا يجب عليك مراعاة الحذر في اختيار قصة قصيرة، ومرتبطة بموضوع العظة. تجنب أي شيء يمكن أن يبعد المستمعين عن الرسالة الأساسية. يبرع بعض الوعاظ في سرد القصص، لكنهم قد يجرَّبون بتحميل القصة أكثر مما تحمل، من الحق الذي يجب أن توضحه. كان يسوع – بالطبع – ساردًا ماهرًا للقصص، لكنه أبدًا لم يُسرف في استخدام الكلمات، وكان يصل إلى لب المشكلة.

6) أداء درامي:

الأداء الدرامي يماثل الكلمات المنطوقة في إثارة حب استطلاع الناس، فهو يفرض نفسه على انتباههم. ويندر استخدام هذه الطريقة في تقديم العظات لأن المنبر ليس مسرحًا، لكن أحيانًا قليلة يلزم أن تؤدي حركة مفاجئة، من شأنها أن توقظ أحد الحاضرين من نومه، فإن هذا يساعد على جذب الانتباه.

فعل يسوع ذلك في مجمع الناصرة، موطنه الأصلي بأن جلس ساكنًا. فقد عاد إلى الناصرة بعد أن بدأ خدمته وذاع صيته في كل مكان، ودخل المجمع، وكان يعلّم. ومع بساطة هذا الأداء من يسوع إلا أنه كان مثيرًا ومؤثّرًا.

تحكي قصة عن طالب وقف في أحد شوارع لندن مشيرًا إلى قمة أحد المباني العالية، حيث كان نصًّا كتابيًّا معلّقا. وبسرعة تجمَّع الناس حوله لينظروا إلى ما يشير إليه هذا الشاب. ولما تطلّعوا جميعًا على المُلصق، انسحب بهدوء وتركهم.
يمكن للأداء التمثيلي، أن يعادل قراءة متأنية ومن القلب من النص الكتابي. بعض هذه النصوص مثيرة للغاية، فإذا استُعملت بعناية خاصة ومراعاة طريقة القراءة، من حيث توقيت السكوت وتوقيت القراءة، فإن مثل هذه النصوص تشد انتباه السامعين مباشرة. مثال لهذه النصوص ما جاء في يو13: 30. يمكنك قراءة هذا النص هكذا: ".... وكان ليلاً." نعم! ظلام لا يُخترَق، ظلام لا مفر منه. ظلام في الشارع. ظلام في نفس يهوذا. "....خرج للوقت، وكان ليلاً." فإذا قيلت هذه الكلمات ببطء وبأحاسيس حقيقية، فإن هذه المقدمة لابد أن تشد الانتباه.

اكتب مقدمتك

نظرًا للأهمية القصوى للمقدمة، فيتحتم عليك كتابة كل الكلمات التي سوف تقولها فيها بكل دقة. لا ينبغي أن تلتزم بها تمامًا، لكن هذه الكلمات الأولى حيوية وهامة لنجاح المهمة كلها، وإذا كنت مشوَّش الذهن وحائرًا فيما ستستهل به كلامك، فسوف تنتقل حالتك هذه إلى الجميع. لكن إذا كانت لديك كلمات محدَّدة أمامك، فسوف تجد بين يديك ما تبدأ به ويكون ذا معنى في هذه اللحظات الأولى الحاسمة، حتى لو كنت محاطًا بجو غير مرحب بكلامك.

أهم ما في الأمر، تجنَّب أن تبدي أي اعتذار في تقديمك لرسالتك. أذكر قسًّا إنجليزيًّا، طالما كان يبدأ عظته بالقول: "لست أدري لماذا كُتِب على أناس مثلكم أن يستمعوا لشخص مثلي"، وبالقطع من تلك اللحظة، توقف الجميع عن الإصغاء إليه، كقوله. يحضُّنا بطرس بقوله: "إن كان يتكلم أحد، فكأقوال الله" (1بط4: 11).

فلا يجب أن يكون تواضع الرسول زائفًا، فأنت في الواقع، رسول الله كلّي القوة. أنت تحمل كلمته التي لا تتطلب أية اعتذارات.

أسئلة للدراسة

1- جهِّز مقدمات لعظات عن: عطية الأرملة، هوشع14، مزمور19، التي تضمنها هذا الكتاب.
2- ما هي المقدمات التي استخدمت في الرسائل التالية: عظة بطرس في يوم الخمسين (أع2)، عظة المسيح عن تكلفة التلمذة (مر10: 23 – 31)، عظة بولس لجموع الأمم (أع22).
3- دوِّن المقدمات التي استخدمت في خمس عظات سمعتها ثم اسأل نفسك بعد ذلك:
أ) هل كان للمقدمة تأثير في جذب انتباهك؟
ب) ما هي الطرق المختلفة التي استخدمت؟
ج) هل كانت طويلة أم قصيرة أكثر من المطلوب؟
د) هل ربطت فعلا تجارب السامعين مع رسالة المتكلم؟

الفصل الحادي عشر

وسائل توضيحية

يعرِّف قاموس "تشامبر" "Chamber's Dictionary" الفعل "يوضح" بمعنى ينير، يزيِّن، أو يفسِّر، أو يزين ويبين بصوَر. والوسائل التوضيحية في العظات تقوم بنفس هذه الأدوار، فعليها أن تسلِّط ضوءًا جديدًا على الرسالة، وتجعل الحق أكثر وضوحًا للعقل، وتمكِّن المستمع من تصوُّر ما يبدو صعب الفهم في صيغة سهلة. فالوسائل التوضيحية ليست هي الرسالة، لكنها تبيِّنها وتفسِّرها. لكن عليك أن تأخذ حذرك لئلا تذهب بك إلى أبعد مما تستحق، وتصبح هي النقطة الرئيسية في العظة. يتذكر الناس دائمًا الوسائل التوضيحية الجيدة، لكن إذا تذكروها وحدها – وليس الحق الذي عليها أن توضحه – فقد فشلت.

مؤشرات هامة

راجع هذه النقاط الهامة في حالة استخدامك وسيلة توضيحية:

1) اعرف ما الذي تُقصد توضيحه بهذه الوسيلة التوضيحية!

إذا نسيت ذلك في سياق إيضاحك، فلن يصل إلى سامعيك المزيد من النور. هذا يعني – بطبيعة الحال – أن تكون أنت على دراية كاملة بالمثال التوضيحي، ولم تلتقطه مصادفةً بعدما سمعت أحدهم يروي قصة جيدة مثلاً. فتحتاج الأمثلة التوضيحية إلى إعداد، تمامًا مثل أي جزء في العظة، لكن ليس هناك ما يمنع من تقديم إيضاح خطر على بالك في التو، إن كنت واثقًا أنه فعلاً يوضح قصدك.

2) استخدم مثالا توضيحيًّا واحدًا ليبرز شيئًا واحدًا:

إذا استخدمت وسيلة توضيحية واحدة لتفسِّر عشرة دروس، فستكون النتيجة الحتمية هي تشويش سامعيك أو إصابتهم بالملل قبل أن تصل إلى نهاية حديثك. لنأخذ مثلاً لذلك: شريحة جهاز "البروجيكتور" التي هي عبارة عن صورة – كما سبق القول في بداية هذا الفصل – تستخدم كوسيلة إيضاح. فلكي تستخدم هذه الشريحة استخدامًا صحيحًا، سوف تجعل صورتها تسقط على الشاشة لمدة قصيرة جدا – بضع ثوان فقط – وتترك الصورة تتحدث بدون الحاجة إلى الشرح الكثير. لكن إذا تابعت الحديث بعد عرض الصورة وتماديت في شرح محتوياتها، فكان الأفضل لك عدم عرضها البتة. أيضا يتعمد البعض إلى عرض الصورة لمدة طويلة جدا مع شرح تفاصيلها الدقيقة، ذلك من شأنه أن يهدم الغرض من عرضها تمامًا.

حين تحدث يسوع بأمثاله كان له هدف واحد فقط ليبرزه، ولم يلجأ إلى شرحه للجموع حتى تصل إليهم رسالته.

3) لتكن وسائل الإيضاح إضافة إلى الرسالة:

مرات عديدة استمعت إلى عظات آسرة لبعض المبشرين، الذين انتقلوا من قصة إلى أخرى، وكان مستمعوهم يصغون لكل كلمة تُقال، لكن عندما تصل إلى نهاية العظة، لا تجد ذكر لكلمات من الكتاب المقدس، والنذر القليل عن الخطية والتوبة وحتى الصليب. كلمة الله، المقدمة بالروح القدس تبكت الناس على الخطية وتردُّهم إلى المخلِّص. فاحرص أن تجعل وسائل إيضاحك في خدمة الرسالة، لا أن تطغي عليها.

4) وائم بين وسائل إيضاحك وبين سامعيك:

أحيانا يزور الخدام الغربيون آسيا أو أفريقيا ويستعينون بوسائل إيضاح رائعة لها معناها الواضح جدا في ثقافتهم، لكنها غير ذات معنى لسامعيهم في تلك الأماكن.

فإذا كنت تتكلم إلى ريفيين، فالإيضاحات الخاصة بالمدينة لن تفيد كثيرًا. في إحدى المرات أرادت إحدى المرسلات أن تصوِّر التلاميذ بعد القيامة وهم في طريقهم للعودة إلى الصيد، فجاءت بصورة لهم، وقد ظهر ضوء القمر يبرق على سطح الماء. وكانت المشكلة أن سامعيها كانوا صيادين أيضا، ويعلمون أن الصياد الماهر، لا يخرج للصيد مطلقًا في ضوء القمر، الذي يهرب منه السمك بعيدًا.

إذا كنت تخدم بين أناس تعرفهم جيدًا، فلن تواجهك المشاكل، لكن إن كنت في زيارة لمكان ما، فالأفضل أن تراجع وسائل إيضاحك قبل استخدامها.

5) ركز وسائل إيضاحك في الأساسيات:

بمعنى أن يكون التأكيد على نقطة واحدة، علاوة على الاستغناء عن أي جزء من القصة – أو ما شابه – لا يرتبط بالنقطة التي تريد توضيحها. ورجوعًا إلى مثل "شريحة البروجيكتور slide transparency"، لابد للشريحة أن تكون جيدة الإضاءة – ليست قاتمة ولا شديدة الإبهار – والشيء موضوع الحديث يكون في مركز جذب الانتباه بمجرد ظهورها على الشاشة.

6) يمكن الإكثار من وسائل الإيضاح للسامعين الأقل اكترائا:

ربما يرجع ذلك لأنهم يفتقرون إلى التوجيه الجيد في الإيمان، أو لأن ثقافتهم لم تعوِّدهم الإصغاء لأحاديث مترابطة ومتصلة؛ فالرجل الذي يشتغل بالحقل طوال النهار، غالبًا ما يكون في المساء في حالة من الإنهاك، لا تتيح لعقله القدرة على التفكير في أمور نظرية؛ لذا فلابد أن يُقدَّم الحق لأمثاله بأسلوب حيّ، يمكنه أن يراه بعينه حتى يدفعه لأن يتصوره في صورة عينيه ملموسة.

7) احترس من الاعتماد على الإيضاحات أكثر مما يجب:

إذا حدث هذا فستتعرض لخطورة ضغط هذه الإيضاحات على العظة، كما في حالة المبشرين التي سبق ذكرها. أيضا احرص في استخدامك للفكاهة في عظاتك، فلمسات من الدعابة يمكن أن تأتي بالمعنى واضحًا جدا، لكن لابد أن يكون لك المقدرة على الرجوع بسامعيك إلى نقطتك مرة ثانية، فالمغالاة في استعمال الفكاهة، يجعل ذلك مستحيلاً في أحيان كثيرة.

وأنت تنشُد التواصل مع شعبك بأقصى وضوح ممكن – وأقصى تأثير ممكن أيضا – لا تنسى أن التأثير الروحي يأتي من اللمسة الحيَّة مع الرب يسوع، وليس من المقدرة على سرد القصص المشوِّقة.

مصادر وسائل الإيضاح

1) الكتاب المقدس:

الكتاب المقدس نفسه من أفضل المصادر التي تجد فيها وسائل إيضاح، فإعلانات الله دائمًا تُكتسَى بأفعال، كما بكلمات أيضا، لتوضح هذه الأفعال. تحرير شعب إسرائيل من مصر يعطي إيضاحًا مجيدًا ومطوَّلاً، عن خلاص الإنسان من عبودية الخطية. لقد عبَّر الله عن رسالته للإنسان في تاريخ البشرية، ويذخر العهد القديم بوسائل إيضاحية للحق الموجود في العهد الجديد، غير أنه – وللأسف – يجهل الكثيرون محتوى العهد القديم، لكن عن طريق رجوعك لقصص العهد القديم، واستخدامها كإيضاحات لتعاليم العهد الجديد، يمكنك توضيح الحق، ويمكنك من إظهار ارتباط كلا العهدين ببعضهما، في ذات الوقت.

أعلن كثير من الأنبياء عن رسالتهم باستخدام إيضاحات مناسبة، فأرميا مثلا أُخبر بأن يشتري منطقة جديدة ويلبسها، ثم أُرسل إلى نهر الفرات ليطمرها في شق صخر هناك. ثم رجع بعد حين ليستردها فإذ بها غير صالحة للاستخدام. كانت كل هذه الأحداث، إنما تعلن عن أسلوب الله، في إيضاح الدينونة القادمة على شعبه إسرائيل من خلال سَبْيهم (إر13: 1 – 7).

كذلك أراد عاموس أن يعلن، أنه إنما كان يتكلم برسالته غير المشجعة لشعب إسرائيل، لمجرد أن هذا ما أمره به الله؛ لذلك فقد استخدم سلسلة من الإيضاحات، كلها أظهرت بجلاء، أن ما من شيء يحدث دون أن يكون له سبب منطقي؛ فلا يمشي الناس سويًّا إلا إذا اتفقوا على ذلك، ولا يزأر الأسد إلا في وجود فريسة، ولا يسقط طائر في فخ الأرض بغتةً إلا إذا وقع في شرك، وعندما يدوي بوق الحرب، يرتعد الناس. وهكذا تمامًا، حين يتكلم الله، فعلى النبي أن يعلن شيئًا (عا3: 3- 8).

ويظهر خطاب استفانوس في أع7 استخدامًا فعَّالاً للإيضاحات الكتابية. قد نجد رسالته عسيرة الفهم، فمعظمها يبدو على أنه يحكي تاريخ إسرائيل، على أي حال كان قصد استفانوس واضحًا جدا لسامعيه، فقد اختار فقرات من تاريخهم ليبيّن لهم كيف أن إسرائيل رفض مرارًا السير مع الله، وكيف رفضوا أيضا قبول مخلّصيهم، وبنفس الطريقة رفضوا قبول المخلّص الآتي من السماء. كانت إيضاحات استفانوس غاية في الوضوح؛ حتى أن سامعيه في النهاية قاموا برجمه. وفي1كو10: 11 نقرأ: "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكُتبت لإنذارنا نحن ....."، بعبارة أخرى، العهد القديم هو المصدر المثالي لوسائل الإيضاح للواعظ المؤمن.

2) التاريخ:

يزودنا التاريخ بمصدر آخر للإيضاحات، غير أنه يجب الحرص في استخدام هذا المصدر، خاصة في بيئة متعددة الثقافات؛ فنحن نعرف تاريخنا، لكن الآخرين ربما لم يسمعوا قط عن أبطالنا أو يفهموا سبب أهميتهم بالنسبة لنا.

3) الأحداث الجارية:

ينتشر هذه الأيام المذياع اللاسلكي في كل مكان، بما في ذلك الأماكن النائية، حتى أن الكل على دراية بمجريات الأمور والأخبار الرئيسية. يمكن لقراءة الصحف أن

تكون ذات فائدة عظمى في المدن، فاستخدام حدث وقع بالأمس فقط كإيضاح لفكرة ما، يأخذ مكانه بقوة بين السامعين.

4) الأحداث اليومية في حياة الجماعة:
تبين الزيارات الرعوية أمورًا كثيرة، تصلح لإيضاح الحق المتضمَّن في مختلف أجزاء الكتاب المقدس، إلا أنه على المتكلم أن يكون شديد الحذر، في ألا يظهر أنه يتحدث عن أشخاص بعينهم.

فالحياة مفعمة بالأمور المتباينة، وتتكرر المشكلات الإنسانية مرارًا كثيرة في صور مختلفة، حتى أن إيجاد الإيضاحات لا يكون بالأمر العسير عند الحاجة. ربما تأتي لذهنك أثناء كتابتك للعظة، أو ربما تحتاج إلى الرجوع إلى المادة المكتوبة؛ لتقرر الإيضاح المناسب، ومكانه المناسب، الذي يتحتم عليك استخدامه، لكن دع هذه الإيضاحات تأتي طبيعية في مكانها، ولا تحاول إقحامها على الرسالة.

محدودية وسائل الإيضاح:
نصيحة أخيرة أسديها: تذكَّر أن لأفضل وسائل الإيضاح حدودها، فلا يوجد منها ماهو كامل (باستثناء إيضاحات الكتاب المقدس في قرينتها). في أحسن الأحوال تفيد الإيضاحات في توضيح فكرة، وإلقاء بعض الضوء عليها، وضمان نجاحها ليس مكفولاً بدون حدود. فمثلا حين نفكر في الثالوث، لا يوجد إيضاح يمكن أن يوضح كل الحق، فحقيقة كيان الله في أعماقه، أبعد من أي تحليل بشري، إلا أن الإيضاحات يمكن أن تفيد في تقريب ماهو أعمق من أي عقل بشري.
يمكننا اتخاذ الشمس مثلاً كإيضاح، فنحن إذا نظرنا إلى الشمس لا نرى الشمس في حقيقة الأمر، بل نرى ضوءها وبهاءها، لأننا سنصاب بحالة من العمى إذا نظرنا إلى الشمس مباشرة. وعلى نفس المنوال، نحن لا نقدر أن نرى الله، مع كونه حقيقة لا جدال فيها، لكننا يمكننا أن نراه في الكتاب المقدس، يسوع المسيح الذي هو بهاء مجد الله ورسم جوهره. يسوع المسيح بهاء مجد أبيه. أيضا نحن نتحدث عن شعورنا بحرارة

الشمس في أجسادنا، لكننا لا نشعر بالشمس ذاتها أو حتى ببهائها، لكنه دفء أشعة الشمس الذي لا نراه. وعلى نفس الوتيرة، نحن لا نرى الروح القدس، لكنه حقيقي في قلوبنا، ونحن ندرك به وجود الله. وهكذا نرى أن الشمس الموجودة والضياء الذي نراه والأشعة التي نشعر بها هي واحد وليست ثلاثة.

وأنا أرى أن هذا الإيضاح يفيد كثيرًا في إلقاء الضوء على عقيدة الثالوث، مع أنه ينهار من حيث عدة وجوه، إذ أنه توجد مقاييس كثيرة في الشمس لا تتمشى مع الثالوث، هذا بخلاف أن الشمس في حقيقتها ليست شخصا في المقام الأول. فهذا الإيضاح عليه تحفظات عديدة، لكنه لو استخدم بدقة فإنه يلقي بعض الضوء ويقوم بالتوضيح.

أسئلة للدراسة

1) جهِّز إيضاحًا لتظهر:
أ) أن الأشياء غير المنظورة ليست بالضرورة غير حقيقية.
ب) معنى الإيمان بالله.
ج) قوة المحبة في العلاقات الإنسانية.
د) حماقة التركيز على الأشياء المادية فقط.
2) لماذا – في رأيك – تحدث استفانوس عن يوسف (أع7: 9 – 16)، وموسى (أعداد 35 – 41) وخيمة الاجتماع والهيكل (أعداد 44 – 47) حين كان يترافع عن نفسه أمام السنهدريم؟
3) حين تعظ مما جاء في أفسس1: 1 – 10، كيف توضح الأمور التالية:
محبة الله لنا من قبل تأسيس العالم، الهبة المجانية التي ننالها بالمقارنة مع الثمن الذي دفعه هو، غنى نعمته المُنعم به علينا؟

الفصل الثانى عشر

خاتمة العظة

خاطب الإنسان ككل

عندما يتحدث الله إلى الإنسان، فإنه يخاطب فيه العقل والقلب والإرادة، وهكذا ينبغي أن يفعل كل من يعظ بكلمة الله. عندما ألقى بطرس أول عظة مسيحية في يوم الخمسين، حرص على أن يخاطب العقل والقلب والإرادة.

خاطِب العقل

بُنيت عظة بطرس على أساس المنطق الواضح؛ فأشار إلى عدم احتمال سُكر التلاميذ، لأن ذلك كان في وضح النهار، بل على العكس من ذلك، فما رآه الناس كان إتمامًا لكلمة الله، الواردة في سفر النبي يوئيل. وأوضح بطرس في حوار منطقي، أن يسوع الناصري أُقيم من الأموات، وأن الرسل وأسفار الكتاب المقدس شهود على ذلك. وقد قَبل يسوع – المقام من الأموات – عطية الروح القدس من الآب، ثم سكبه على هؤلاء الناس؛ لذا فما رآه الناس في ذلك اليوم، كان برهانا على أن يسوع هذا هو رب الكل، وهو المسيح الذي وُعِد به الآباء. كان هذا الحوار موجَّهًا إلى العقل واحتاج إلى متابعة دقيقة.

هكذا يجب لعظاتنا أن تخاطب عقل الإنسان حتى يدركوا الأساس الحقيقي لما نعظ به.

خاطِب المشاعر

لم يتوقف بطرس عند هذا الحد؛ فقد حرَّكت عظته مشاعر الناس ونخست قلوبهم. فيسوع الذي رقَّعه الله ليكون ربًّا ومسيحًا، هو نفسه الذي صلبه هؤلاء السامعون. كانوا مسئولين أدبيًّا عن موت المسيح، وصلب ابن الله ورفضه. كانت هذه النقطة هي الذروة في عظة بطرس، وكان من أثرها أن الجميع نُخسوا في قلوبهم. لم يخش بطرس أن يحرك مشاعر الجماهير، وهكذا يجب أن نفعل نحن؛ فتحريك مشاعرهم كان مبنيًّا على حق قُدِّم للعقل، وكان حقيقيا. فالوعظ الذي لا يحرك المشاعر يعيبه خطأ ما.

خاطِب الإرادة

لم ينته بطرس عند هذا الحد. في واقع الأمر، لم يترك الجمع له أي خيار، فقد سألوا مباشرة: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" ما لم تتحرك إرادة الإنسان لعمل شيء ما، بما فهمه بعقله، وشعر به في قلبه، يظل عمل الله غير تام. لقد قدم بطرس تطبيقا لرسالته إذ حث الناس على التوبة والمعمودية باسم الرب يسوع المسيح، فهكذا يمكنهم التمتع بغفران خطاياهم وقبول عطية الروح القدس.

يقود الوعظ الذي يخاطب العقل فقط إلى العقلانية المجرَّدة، وذلك الذي يحرِّك القلب فقط إلى العاطفيَّة، والذي يخاطب الإرادة فقط إلى الفريسيَّة. لابد للعناصر الثلاثة – العقل والمشاعر والإرادة – أن تُقدَّم في عظاتك حتى تكون كتابية فعلاً، وحتى يمكن تطبيق الحق بحسب تفسيره، أيضا لختام العظة أهمية قصوى في تجميع كل ما قيل حتى يتضح الموضوع كله للعقل، وتنعم المشاعر بالدفء وتنشط الإرادة، فتُترجَم كلمة الله إلى حياة مُعاشَة. يصف بولس خبرته في الوعظ لشيوخ أفسس في أع20: 20 – 21 فالوعظ كان مُعِينًا، والتعليم كان مُعلنًا ومن بيت إلى بيت، وكان إعلانا لضرورة الرجوع إلى الله بالتوبة والإيمان بربنا يسوع المسيح.

فالوعظ يعني الإعلان، وإظهار حقائق الإنجيل، ويتضمَّن التعليم شرح كل ما تحويه هذه الحقائق، والإعلان هو الحث على التجاوب بالتوبة والإيمان. ما كان لخدمته أن تكتمل بدون توقع موقف إيجابي من جانب سامعيه.

سمات الخاتمة الناجحة

1) شاملة ومعبِّرة:

لابد من وجود ملخص للتعليم الموجود في الفقرة الكتابية، حتى تتكوَّن نظرة شاملة، ولا يتوقف الأمر على التلخيص، بل على التنبير أيضا. لابد من تجميع نقاطك معًا حتى يتذكرها الناس، ويلاحظوا كيف تترابط معًا، وتؤدي إلى الخاتمة التي وضعتها. التكرار جزء مهم من التعليم الجيد، وبتقديمك نقاطك مرة ثانية، سيتذكرها السامعون وسترافقهم عند خروجهم. إلا أن على هذا الملخص أن يكون مختصرًا وليس إعادة لكل العظة، فذلك يكون مملاً وغير ضروري.

2) واضحة ووثيقة الصلة بالموضوع:

لابد للحق المعلن من تطبيقات واضحة في حياة السامعين؛ فيجب أن تكون المتطلبات الأدبية والروحية للحق واضحة، معاصرة ومناسبة للسامعين؛ حتى لا يلتبس الأمر على أحد منهم، من حيث حالته الراهنة، وما يجب عليه اتخاذه. كانت قوة الروح القدس واضحة في عظة بطرس في يوم الخمسين، حتى أنه بمجرد وصوله إلى ذروة حديثه، قاطعه الناس، وسألوه عما يجب أن يفعلوا. وقد تكرر هذا المشهد مرارًا وتكرارًا، عبر التاريخ في أوقات النهضات. في مناسبات أخرى، جاء التطبيق كجزء مكمل للرسالة، فإذا قرأت أع3: 16 – 26& أع13: 37 – 40 سوف تلاحظ أن التلاميذ لم يقدموا مزايا الإنجيل فحسب، لكنهم أيضا حذَّروا من رفض الحق، حيث أعلن بطرس بكل جرأة: "أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب" (أع3: 23). فلا يحمل الحق البركة بقبوله فقط، لكنه يحمل الخسارة برفضه أيضا.

أيضا بولس وهو في أنطاكية بيسدية حذَّر قائلا: "فانظروا لئلا يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء: انظروا أيها المتهاونون، وتعجَّبوا واهلكوا....." (أع13: 40، 41).

3) قصيرة وفي حينها:

غالبًا ما تفقد الخاتمة رونقها؛ لأن الخادم لا يعرف كيف ينتهي بعظته. من الأهمية بمكان أن تجعل الخاتمة قصيرة وموجزة؛ حتى تترك التأثير الكامل للرسالة يرن في آذان السامعين. ينقسم الوعاظ إلى قسمين في هذا المجال: البعض يقول "في الختام" ثم يستمر في الحديث، والبعض الآخر الذي يقول "أخيرًا" وينهي حديثه فعلاً. القسم الثاني هو الأفضل. هذا يعني أن الخاتمة تحتاج إلى عناية، تمامًا كأي جزء آخر في الرسالة، وتحتاج عناية أكثر أن تعرف كيفية إنهاء العظة. وهذا لا يعني أنك – وأنت تحت قيادة الروح القدس – لابد أن تلتزم بما دوَّنته بدون تغيير، لكن إذا لم تجد نفسك قادرًا على إنهاء العظة؛ فلتلجأ إلى عبارة أخيرة مدوَّنة أمامك، وإلا فمن السهولة بمكان أن يتشعب حديثك، حيث كلما تصغي إلى كل جملة تحاول أن تختم بها، تجد أنها ليست أفضل ما تختم به العظة.

أسئلة للدراسة

1- وعظ بولس الأثينويين في أع17: 22 – 31. كيف خاطب أذهانهم، وقلوبهم، وإرادتهم؟ ما الترتيب الذي اتَّبعه في التعامل معهم، وكم من الوقت قضاه في كل جانب (الأذهان – القلوب – الإرادة) بالمقارنة بباقي الجوانب؟ ما هي النتائج من عظته؟ وماذا نتعلم من ذلك؟

2- اكتب خاتمة لعظة من مزمور19، وأخرى من هو14. إذا وجَّه إليك الناس في نهاية العظة سؤالاً كذاك الذي وُجِّه لبطرس: "أيها الرجال الإخوة ماذا نفعل؟" كيف تجاوبهم؟

3- افحص خاتمة عظة المسيح على الجبل في متى7: 24- 27. كيف تأكد من عدم ضياع تأثير الرسالة؟ ما هو الانطباع الذي تركه في سامعيه في أعداد28، 29؟

الفصل الثالث عشر

الإحتياج الأساسى

حضور الروح القدس وقوته

كتب بولس لأهل تسالونيكي في 1تس1: 5 يقول: "إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط، بل بالقوة أيضا، وبالروح القدس، وبيقين شديد". لم يلجأ إلى تفاخر لا أساس له. لقد وقفت كنيسة تسالونيكي لتؤكد دعواه، فقد علم شعبها – وكل المنطقة المحيطة – بما حدث، ذلك لأنهم لم يؤمنوا بكلماته القوية فحسب، بل أيضا بشَّروا بها في المقاطعة المحيطة بهم.

ما لم يكن وعظنا مصحوبا بالقوة وبالروح القدس وباليقين الشديد، فإننا إنما نهدر وقتنا. فمجرد إضافتنا لآلاف الكلمات، للأثير المشبَّع بمثلها، لا يبرِّر وجودنا. لقد أوجدنا الله في مواقعنا هذه كوعاظ؛ لنرى تغييرا في حياة الناس.

في كتابه الرائع " الوعظ والوعاظ " يفرِّق د. مارتن لوليد – جونس Dr. Martin Lolyd – Jones بين إعداد العظة وبين إلقائها، ويشير إلى أن كلا الأمرين أساسيان للنجاح بالمعنى الصحيح. فلا نتوقع مباركة الروح القدس لتكاسلنا إذا كان إعدادنا لعظاتنا متواضع. لابد لنا من بذل أقصى الجهد؛ لكي نتعلم نحن أنفسنا كل ما يمكننا تعلُّمه من الرسالة، ونفكِّر جيدًا كيف سنقوم بتقديمها. ويتعلق معظم محتوى الكتاب الذي بين يديك بالإعداد.

إلا أن عملية الوعظ نفسها لها نفس أهمية الإعداد، لذلك فنحن نحتاج إلى الاتكال المستمر على حضور الروح القدس وقوته، كما أننا لسنا نقدر على الإعداد بدون الروح القدس، لأنه هو الذي يقودنا إلى الحق كله، وهذه الأمور تُدرك روحيًّا. في واقع الأمر، طالما تتعلَّق خدمتنا كوعاظ بكنيسة الله، فإن مهمتنا يمكن تلخيصها فيما

يلي "....لا بأقوال تعلّمها حكمة إنسانية، بل بما يعلّمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات" (1كو2: 13).

التقييم الذاتي والصلاة

يجب ألا يفوتنا تقدير الأهمية القصوى لإلقاء العظة. إذا كنت تعظ كثيرًا؛ فلا شك أنك تعرف ذلك الشعور المرعب الذي ينتابك حين تقدِّم عظة غير مؤثرة. ربما قضيت الساعات في تحضير تلك العظة، وربما هزَّت مشاعرك وأنت تحضِّرها، لكن حينما وقفت لتلقيها كنت كمن يتحدث إلى صخر جامد. لسنا دائمًا أفضل من يحكم على فعالية عظاتنا وتأثيرها. ربما كان شعورًا فظيعًا، ولعل هناك أسبابًا جسدية لهذا الشعور، لكن هذا لا يعني أن الله لم يستخدم رسالتك ليكلِّم بها شخصا بعينه في حاجة ماسة إليها.

ومن جهة أخرى، ربما تترك المنبر منبهرًا برسالتك بعد أن استمتعت بإلقائها، وتكون أنت الوحيد الذي استمتع بها. لله طرقه الخاصة ليحفظنا متَّضعين، وهذه إحدى طرقه.

لاشك أن الوقت الذي يلي إلقاء العظة مباشرة، ليس هو الوقت الواقعي لتقييم عظتك؛ فالمديح في تلك اللحظات يقود إلى الكبرياء، والنقد يؤدي إلى الإحباط.

فإذا كان بعضهم يساعدك بتقييم تقديمك للعظة، فاقترح عليهم أن يؤجلوا تعليقهم لمدة أربع وعشرين ساعة بعدها. وأما عن نفسك، فسوف تكون عواطفك في قمتها؛ مما يحول دون قدرتك على التقييم الصحيح؛ لذا فأفضل ما تفعله هو أن تستودع الرسالة للرب لكي يستخدمها، وتصرف أنت ذهنك عنها. وهذا لا يعني ألا تتابع الصلاة للعظة خلال اليوم، لكن عندئذ ستتمركز صلاتك حول الناس وليس حول نفسك.

المراجعة وإضافة أفكار إضافية

بمجرد الانتهاء من إعدادك للعظة وتدوين نقاطها، يمكنك تركها جانبًا حتى قرب إلقائها. بعد ذلك عليك مراجعتها مرة أخرى فربما تضيف إليها بعض الأفكار الجديدة، وحتى تتشبع بها أنت شخصيًّا، وهو أمر بالغ الأهمية.

إن أفضل العظات التي تقدم جامدة وباردة تشبه طعاما يُقدم بدون الملح والتوابل. نصح بولس تيموثاوس قائلا: "لاحظ نفسك والتعليم" (1تيمو4: 16). الجزء الأول من كلمات النصح هذه يعتبر هاما وأساسيا أكثر من الجزء الذي يليه، فإذا كان الوعظ هو حق يصل عن طريق الشخصية، فتلك الشخصية تحتاج إلى الخضوع لقيادة الروح القدس.

وقت تفرُّغ من كل شيء قبيل العظة

يتحتم عليَّ أن أنوِّه هنا كيف نصعِّب الأمور على خدامنا حين نثقل كاهلهم بالمشغوليات حتى اللحظات الأخيرة قبيل الخدمة. ربما نتوقع وجود الخادم على باب الكنيسة ليرحب بشعبه، لكن ألا يمكن أن يقوم آخر بهذا الدور؟ وكثيرًا ما ننشغل إلى الدرجة التي معها نفتقر إلى فرصة يقضيها الشمامسة والشيوخ مع الراعي في هدوء قبل الخدمة للصلاة طلبًا لقوة الله. كيف ننتظر من الخادم أن يبدأ في العبادة لله ولبه معدٌّ تمامًا لإلقاء رسالة الله لشعبه، إن كان عليه أولاً أن يحل مشكلة في فريق الترنيم، أو يجد مكانا مناسبًا لمدرِّسة مدارس الأحد التي وصلت في التو؟ إن فترة العبادة والتسبيح ربما تساعده على تهدئة أفكاره وتجميعها، لكنها لم توضع لهذا الغرض.

إن كنا نريد عظات مصحوبة بالقوة علينا أن نفرِّغ الواعظ ليهيء نفسه جيدًا.

الاتكال على الروح القدس

يتطلب الوعظ إذن الاتكال الدائم على الروح القدس، أولاً لينير ذهنك بالحق الإلهي، وثانيًا ليمنح روحك القوة قبل تقديم العظة مباشرة وأثناء حديثك أيضا. فليس المطلوب أن تكون معتمدًا على ذاتك، بل على قوة الله بصفة دائمة، فأنت لا تستطيع أن تفتح قلوب الناس أو تبكِّت الخطاة، لا يمكنك أن تلهب القلوب الباردة أو تنهض

الساقطين من موتهم. لكن الله – في رحمته ونعمته – رتب أن يؤمن الناس بجهالة الكرازة، ولا يمكنك أن تعرف ما الذي يمكن أن يفعله، إذا كنت متكلاً عليه حقًا. يصف بولس مؤمني كورنثوس ويكلّمهم قائلاً: "ظاهرين أنكم رسالة المسيح، مخدومة منا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية" (2كو3: 3). فالكاتب هو المسيح، والروح القدس هو الذي يحرك القلب، لكن الواعظ عليه أن يوصّل الرسالة التي تحدث كل التغيير في الحاضر وفي الأبدية أيضا. إن جانبا من روعة الخدمة وإثارتها هو أنك لا يمكن أن تعرف ما سوف يفعله الله في ذلك اليوم، ، لذا فالاتكال على الروح القدس ليس ضروريًا فحسب ولكنه واعد أيضا.

هل هناك عظة تستحق التكرار؟

ماذا عن تكرار عظة ما أكثر من مرة؟ تختلف الآراء كثيرا، لكن معظم الوعاظ ليس لهم الخيار في تكرار عظاتهم، وقد قال أحدهم عن العظة التي لا تستحق التكرار، إنها غالبًا لا تستحق أن تُلقى نهائيًا. لكن عليك بالحذر هنا، فربما مررت بتجربة إلقاء عظة في خدمة صباحية واتضح أنها قوية في يدي الله بحيث قررت إعادتها في الخدمة المسائية، متوقعًا لها نفس النتائج، لكنك أُصبت بخيبة أمل كبيرة. أشك كثيرا في حكمة القرار بأن تعيد نفس العظة مرة ثانية في نفس اليوم، ذلك لأنك إذا كنت حقًا بذلت كل ما بوسعك في المناسبة الأولى، لن تكون لك الكفاية من الوقت لاستعاضة قوتك لرحلة أخرى، لنفس تلك الربوع في نفس ذلك اليوم. فأنت كلاعب أوليمبي في سباق للجري الطويل الذي فاز بتفوق في المباراة التجريبية، وإذ به يجد أن أداءه بات هزيلاً في السباق النهائي، لقد أعطى كل ما لديه أول مرة.

دعنا نستعير تشبيها آخر من القس "آلان ستيبس Rev. Alan Stibbs" أحد رجال الله الأفذاذ في التفسير، الذي قال أن كل نسخة جديدة تطبع من الصور الفوتوغرافية من نفس الأصل السالب negative تحتاج إلى ضوء إضافي. وأنت تحتاج إلى مزيد من الوقت لتقدم ذاك الضوء الجديد من الروح القدس لتسلّطه على

النسخة القديمة الـ negative من نقاط عظتك. لا تتوقع أبدًا أن إعادة العظة ستكون بالأمر الهيِّن، أو أنها لن تحتاج إلى التحضير، فهذا هو السبيل إلى كارثة. لكن إذا أعدت تحضيرها وأتحت للروح القدس أن يضرم ناره في قلبك، فإن المرة الثانية، والثالثة، وحتى العاشرة ستصبح أكثر تأثيرًا وقوة من المرة الأولى.

مسئولية خطيرة

هدفنا هو التوصيل الفعال والمؤثر لمعرفة الله إلى الناس. ذكرنا في بداية هذا الكتاب أن حُكم هوشع في افتقار الشعب للمعرفة راجع إلى افتقار الكهنة للتعليم. فهؤلاء المخوَّل لهم مسئولية تعليم شعب الرب، عليهم أن يعطوا جوابًا بخصوص جهل شعبهم، ومن هو كفؤ لهذه الأمور؟

يُظهر حزقيال أيضا فشل وعاظ عصره في إصلاح الانحدار الأخلاقي والروحي والاجتماعي، لمملكة يهوذا الجنوبية وقتئذ. وعظوا كثيرًا واستخدموا كلمات صحيحة لوصف ما يقصدون. قالوا "اسمعوا كلمة الرب !"، لقد تكلموا وادّعوا سلطان الله في رسالتهم، لكنه رفضها. وأرسل الرب حزقيال ليدينهم، لأنهم كانوا "أنبياء من تلقاء ذواتهم". ذهبوا "وراء روحهم ولم يروا شيئًا"، "رأوا باطلاً وعرافة كاذبة"، "والرب لم يرسلهم، وانتظروا إثبات الكلمة". ولذلك فقد وُصفوا بأنهم "كالثعالب في الخرب" غير منتبهين للخراب حولهم، "فهم يهدمون أجزاء الحائط بدلا من أن يبذلوا الجهد في إصلاحه" (انظر حز13: 1 – 7).

وهكذا يفعل كل واعظ يقدم رسالته من تلقاء ذاته، بغير الاتكال على الرب الذي دعاه، والذي يقول ما يرى أنه احتياج شعبه. كيف نتحاشى هذا الخطر الداهم؟ نتحاشاه بالتفسير.

إعلان كلمة الله الثابتة

حينما نعود إلى كلمة الله نجد أقوال الله التي لم ولن تتغير؛ فما قد قاله هو ما يقوله دائما، فما من كلمة من كلماته قيلت ثم أُهملت. فلازال الله يتحدث بما سبق أن

تحدث به، سواء كان رسالة عن دينونة الله لجيل، مثل جيل حزقيال، أو عن محبة الله التي في المسيح يسوع. وتتلخص مهمتنا – كخدام لله ولكلمته – أن نترجم مباديء أقواله إلى تعبيرات يفهمها الإنسان المعاصر ويطيعها. وهكذا نستطيع أن ننادي بحق "اسمعوا كلمة الرب!" فنحن لم نختلقها. ربما نفضِّل ألا نلتزم بما هو مكتوب أمامنا، لئلا يستاء بعض سامعينا، أو نفقد شعبيتنا بينهم؛ إذ يسمعون منا ما لا يحبُّون، لكننا ملتزمون بإعلان الحق الإلهي كله، من منطلق إخلاصنا لله وبروح المحبة، عندئذ فقط نكون مخلصين لدعوتنا.

أسئلة للدراسة

1- ماذا نتعلم عن الوعظ من 1كو2؟ اكتب قائمة بالنقاط المختلفة وناقشها.
2- ماذا نتعلم عن خدمتنا من كولوسي4: 2 – 6؟
3- ما هي أسباب الثقة التي نجدها في 2كو3؟ على من تعتمد الخدمة الرئيسية في هذا الأصحاح؟